- الانقلاب الذي حققته الحرب في الاوساط النسائية
- المؤامرات الاوروبية على تركيا في بلاد العرب
- نكبة بيروت ولبنان بالمجاعة ابان الحرب ومخلفاتها
- الانتفاضات العربية وانتقام الاتحاديين

قصة امة خلال قصة المرأة في حرب قلبت العالم

بقلم محمد جميل بيهم

* * *

كانت المرأة العربية حتى الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) تضع اعتمادها كله على الرجل ، سواء اكانت من طبقة الاغنياء أم من طبقة الفقراء ، وكان اعتمادها هذا الذي لا حد له يحملها على الاعتقاد انها قاصرة ، وانها تحتاج ابدا الى رجل يؤمن معاشها ، ويقوم اعمالها . وكان الرجل المهيمن عليها يشاركها في هذا الاعتقاد ، ويساهم معها بالتالي في اعتبار نفسه سيدها وصاحب الحق في توجيهها على حسب ما يشاء .

وكان قصور المرأة يتجلى وقتئذ على اتمه في البلدان المحافظة التي لم تكن قد اقتبست نصيبا وافرا من التمدن الحديث . وقد اتيح لي ان اشاهد بنفسي امثلة على ذلك القصور في بلد من تلك البلدان ، ويطيب لي ان اروي بعضها لتبيان ما كانت عليه المرأة هناك في تلك الايام : كنت ضيفا على احد الاعيان فلاحظت ، وانا اقيم في المنزول المستقل عن الدار ، ان مضيفي ما ان كان يغادر المنزل لحاجة له حتى تعلو الضوضاء فيه ويمسي كأنه صف من صفوف كتاتيب الاولاد غادره المعلم . ثم ما ان يعود رب الدار حتى تخفت الاصوات ويستتب الهدوء . ولاحظت ايضا ان مضيفي المعروف بالكرم كان يحتفظ في جيبه بمفاتيح خزائن المؤنة ، وكان يعطيها الى اهله عند الطلب ، ثم ترد اليه بعد اخذ حاجتهن من تلك الخزائن . وكان مصدر كل ذلك يعود الى ما كان مقررا في نفوس النساء والرجال على السواء : ان المرأة قاصرة كالولد ، وهي تحتاج دائما الى الوصي . وعلى هذا الاعتبار فهي لا تتورع عن التصرف تصرف الاولاد اذا غاب المعلم ، وهو لا يتورع عن معاملتها معاملة القصار اعتقادا منه بأنها اذا اعتدلت فانما يعود اعتدالها الى امتثال اوامر القيم عليها ، والى الخوف منه . ومجاراة لهذا الوضع الذي كان يشمل امصار السلطنة العثمانية فان الدولة كانت تعفي من الخدمة العسكرية المكلفين الذين لم يكن لعائلاتهم معيل سواهم من الرجال .

النفير العام وسوق الرجال الى الحرب

كان الاتحاديون (اعضاء حزب الاتحاد والترقي) في تركيا يسيطرون على السلطنة مذ قاموا بالانقلاب سنة ١٩٠٨ . فلما نشبت الحرب العالمية الاولى سرعان ما خاضوها الى جانب المانيا واسترشدوا بآرائها . فاذا بهم يشفعون اعلان النفير العام بالغاء ما كان متبعا من اعفاء فريق من المكلفين من الخدمة العسكرية ، واذا بجميع الرجال الذين كانوا لا يزالون في سن هذه الخدمة يصبحون جندا للدولة ، ولا يقبل من احد منهم عذر ، ولا بدل نقدي ، وسيقوا الى ميادين الحرب تباعا حتى اجتمع فيها الاب والابن في وقت واحد ، فضلا عن الاخ وأخيه .

فكانت هذه البادرة مفاجأة لم تستعد لها البلاد سواء أكانت عربية ام تركية ، وكان لهذه المفاجأة من ثم تأثير عظيم على المرأة يرجع اليه ما حدث بعد من تطور في اخلاقها سواء اكان ذلك في النواحي المستحبة ، ام في النواحي الاخرى المستنكرة .

احتكار الدولة القوت وتجميد الاموال

للحروب ظروف خاصة قاسية ، واشدها ما كان يتصل بمعاش الناس . فلما اشتركت تركيا في الحرب بادرت الى ادخار الاقوات والسلع والى مصادرة ما كان منها في مستودعات التجار والزراع ، واشفعت ذلك باحتكار وسائل النقل ، وباعلان الموراتوريوم ، وتجميد الاموال في البنوك . فكان من عواقب ذلك وقف دولاب الاعمال ، ولاسيما في السنة الاولى من الحرب ، وتصاعد مستمر في اثمان القوت وسائر الحاجات . فكان الذهول عاما ، وكان المصير مجهولا .

وقعت الواقعة فكانت كارثة شاملة ، ولكنها كانت اشد وقعا على العائلات التي لا مورد لها ، ولا ذخيرة عندها ، وعلى اولئك الذين يعيشون بما يكسبون في يوم بعد يوم . وانها لكارثة كانت ادهى وامر على ابنة الشعب التي لم يبق لها معيل ، وهي التي لم تتأهب من قبل للكفاح في سبيل تأمين معاشها ومعاش اولادها . كيف العمل ؟ والى اين المصير ؟ انها استرسلت الى الحزن في اول الامر ، وارسلت الدموع مدرارا ، ثم حملها الجوع على ان تفكر في الاعتماد على نفسها ، وبعد تردد قصير لم يسعها الا الخروج للكسب ضاربة صفحا عن تقاليد البلاد وعاداتها .

انتقام الاتحاديين من العرب خلال الحرب

كان الصراع بين آل عثمان وبين الدول الاوروبية قد افضى ، عند مطلع القرن التاسع عشر ، الى اضمحلال السلطنة ، وبالتالي الى ترقب هذه الدول الفرصة السانحة

للقضاء عليها وتوزيع ارثها . ورغم انها اجتازت ذلك القرن سالمة بتأثير التوازن السياسي Statuquo الا ان كل واحدة من الدول الكبرى كانت تعمل على انفراد لتقليص ظلها باثارة عناصرها عليها : في اليونان ومكدونيا وارمينيا، وكانت تساعد الثائرين عليها من رعاياها باسم الحرية والقومية .

وقد استطاعت هذه الدول ان تنتزع لبنان من احضان السلطنة بالثورة التي افتعلتها سنة ١٨٦٠ ، وان تحوله الى متصرفية ممتازة تتمتع باشراف الدول الكبرى ، وان تتقاسم فيما بينها ميول اهله : فالموارنة والكاثوليك لفرنسا ، والدروز والبروتستانت لانكلترا ، والارثوذكس لروسيا . واستطاعت اوروبا فوق ذلك ان تتخذ من لبنان مركزا استراتيجيا لدعاوة كل دولة من دولها الى نفسها ، وذلك بواسطة القنصليات والمدارس والبعثات التبشيرية ، كما انها اتخذت من بيروت ، التي كانت قاعدة ولاية بيروت ، مركزا اخر لنشر الثورة العربية على الاتراك .

ولكن السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) داهية عصره عرف كيف يبدد مساعيها في الامصار العربية وذلك بالدعوة الى الجامعة الاسلامية ، حتى اذا استأثر الاتحاديون بعده بالحكم وعادوا الى الطورانية أفسحوا المجال للعرب للانتفاض على السلطنة اسوة بغيرهم من العناصر .

وكانت مدينة بيروت اول من تناول المبادرة وخف الى مطالبة استامبول بالاصلاح واللامركزية ، وتجاوبت معها سائر المدن السورية والعراقية ، فاذا بنواب العرب في المجلس النيابي باستامبول يثيرون بشدة قضية الحقوق العربية ، واذا برجالات العرب العاملين يعقدون مؤتمرهم في باريس في العام السابق للحرب ، واذا بالصحف العربية تجاري الراي العام وتتسابق لاعلان الحرب الباردة على السلطنة .

وفي غضون هذا الصراع بين القومية العربية وبين ساسة استامبول نشبت الحرب العالمية الاولى باسمة في بدايتها للالمان وحلفائهم . فاذا بالاتحاديين ينصبون الميزان ويحاسبون العرب حسابا عسيرا ، ويبيتون المؤامرة للقضاء على اللبنانيين . وقد اسر لي فيما بعد ، احد اركان حزب الاتحاد والترقي ، الذي كان يستأثر بكل السلطات خلال الحرب خبرا مفاده ، ان الحزب لم يقرر الفتك بزعماء العرب فحسب ، بل قرر ايضا اجلاء الموارنة عن لبنان كما فعلوا بسكان الاناضول من الارمن ، وذلك بغية استئصال النفوذ الاجنبي الى الابد ، وانهم عهدوا الى احدهم جمال باشا تنفيذ هذا القرار حينما نصبوه قائدا على الجيش الرابع في بلاد الشام . واضاف محدثي الى ذلك قوله : ان جمالا نفذ الشق الاول من الاوامر المعطاة له منذ استتب له الامر في دمشق ، فصلب من صلب في بيروت ودمشق من رجالات العرب ، ونفى من نفى ، وشهر من شهر ، ولكن تهيب الامر عندما اعتزم اجلاء الموارنة عن لبنان . ذلك بانه واجه اتحادا متينا في ولاية بيروت بين الطوائف المسلمة والمسيحية وثقة تعصب الاتراك للطورانية فراى انه لو حاول تنفيذ هذا الاجلاء لخسرت الدولة المسلمين ايضا ، فاعتذر لزملائه في استامبول عن القيام بالشق الثاني . على ان جمال باشا لجأ الى طريقة اخرى في الانتقام من لبنان وبيروت : طريقة الافناء بالمجاعة ، واشغال اهليهما ، وسائر سكان الساحل السوري : بتأمين رغيف الخبز عن اي شيء اخر . ولقد رايت بعيني خلال تلك الحرب مشاهد مختلفة تقشعر لها الابدان لا تزال فرائصي ترتعد كلما عاودتني ذكرياتها ، وكان من افظعها مشهد رايته بدمشق يوم شهروا باشا المطران . فقد اركب بعربة مكشوفة طافت به المدينة على مشهد من جماهير المتفرجين وهو بلباس كره كوزي . وكان يقف الى جانبه رجل بدين يكيل له انواع الشتائم والسباب ، ويصفع خديه بنعل بين الفترة والفترة ليدير وجهه من ناحية الى اخرى . على ان الموت وان كان احب الى قلب هذا الزعيم البعلبكي من هذا التشهير الا انهم لم يحرموه منه ، بل فتكوا به ، فيما بعد ، بحجة انه اراد الفرار ابان ذهابه للمنفى .

المجاعة المفتعلة في بيروت ولبنان

كانت بيروت كما كانت متصرفية لبنان الممتازة تعتمدان على ولايتي دمشق وحلب في تامين حاجتهما من الحبوب بالاضافة الى انتاجهما الخاص منها . فلما شبت الحرب واشرف الجيش الرابع على محاصيل بلاد الشام منع جمال باشا تصديرها الا باجازات . كانت لا تمنح الا للمحاسيب ، او بواسطة هؤلاء وغيرهم للمرغوب فيهم من الموالين او المرغوب فيهن من الحسناوات والقوادات هذا فضلا عن طريق الرشوة . وبسبب هذا الحظر في غضون ما كان الاستيراد بطريق البحر غير متوفر ببيروت ارتفعت اثمان الحبوب فيها والبقول تدريجيا حتى بيع الرطل الواحد منها بليرة ذهبية ونيف . فكان هذا حافزا لكثيرين من اهل الساحل على الهجرة الى الداخل ، وكانت حوران وجبالها قبلة فريق من اهل لبنان . واما المتخلفون من هؤلاء فقد عانوا الشدائد وشرع الفقراء منهم يبيعون ما كان في حوزتهم من ملابس وحلى ورياش . ولما نفدت عمدوا الى نوافذ بيوتهم وابوابها فباعوها ، ثم اشتدت المجاعة حتى كنا نسمع في الاء الليل واطراف النهار صراخ المعدمين : جوعان جوعان ، وهم بين ملقى على قارعة الطريق لا يستطيع الوقوف على قدميه ، وبين ماش على وهن يطارد الموت . وازداد الجوع تفاقما حتى كنا نرى بعضهم يتحرى عن حبة الشعير في روث البهائم . ونشاهد ضحايا المجاعة هنا وهناك على ان الناس ما كانوا على ضيقهم يبخلون في العطاء ولكن لا يكفي العباد الا رب البناء .

أثر المجاعة في الاوساط النسائية

احرجت الازمة المراة فأخرجتها من نطاق ترددها ، وجعلتها تعتمد على نفسها حينما لم يبق لها من تعتمد عليه من الرجال ، فاذا بنا نشاهد نساء وفتيات يقبلن على العمل ، ويزاولن اعمالا لا عهد لهن بها من قبل . وكان بينهن نفر غير قليل كن قبل الحرب يلتزمن بيوتهن ، ويبالغن في الحجاب حتى يستنكرن اسماع اصواتهن لغير المحارم.

وكم رأينا منهن نساء ضاقت بهن اسباب العيش فشرعن ينتقلن من بلد الى بلد مشيا على الاقدام ابتغاء تأمين القوت . لقد كنا نتألم لهذا المشهد ، ونتألم أكثر حينما كنا نرى فريقا اخر منهن يغادر الساحل اسرابا اسرابا ، قاصدات الى دمشق لشراء كمية محدودة من القمح او الدقيق بغية بيعها في اسواق بيروت ولبنان ، لتوفير شيء من الربح يؤمن لهن ولذويهن الحياة على ما في هذه الاسفار من ابتذال ومشقات لا توازيها المرابح الضئيلة .

وكان يحز في نفسنا ان نرى بين هؤلاء التويجرات المنكوبات فريقا من اللواتي وصفهن الشاعر بقوله :

خطرات النسيم تجرح خد يه ولبس الحرير يدمي بنانه

غير ان المجاعة سادت بين هذا الفريق وغيره ، وجعلت المحتاجات الى الكسب على مستوى واحد في الاعتماد على النفس ، واذا توفرت لفئة منهن اجرة القطار الحديدي فما كانت مع ذلك تتوفر لهؤلاء الراحة . بل كان عليهن لتأمين مقاعد في القطار ان يهجمن عليه مع الهاجمين ، ويتعرضن للاصطدام مع سائر المسافرين وكان عليهن ان يترقبن اللكمات فضلا عن الاهانات . اما في العودة وهن مثقلات باحمالهن فكان الامر ادهى وامر . كان عليهن ان يصرفن اياما في المحطة وفيما حولها على انتظار الفرصة السعيدة التي تتيح لهن تأمين مقاعد لهن في القطار . وخلال هذا الانتظار ، الذي كن يجدنه طويلا مهما قصرت مدته ، كن يفترشن احمالهن التي تحوم أرواحهن حولها. اما غطاؤهن فكانت قبة السماء بصقيع ليلها ، ولهيب شمس نهارها . واما الشبع فما كن يدركنه . واذا شبعن فانما كن يشبعن من فظاظات غلاظ القلوب التي كن عرضة لها من قبل عمال المحطة والمسؤولين عن الامن وسواهم . على ان الضائقة لم تقف عند حد ، بل كان يتسع نطاقها كلما دخلت سنة جديدة من سنين الحرب وكأنها النار تبدأ في احراق ما حولها ، ثم لا تلبث السنتها ان تمتد تباعا الى التهام ما يليها الاقرب فالاقرب : لقد احاقت المجاعة في بداية الحرب بالطبقة التي كانت تعتمد على كسب يومها ، ثم تناولت الطبقة التي فوقها فانزلتها الى مرتبة الفقراء . وهكذا دواليك ، فاذا بنا نرى في فنادق دمشق سيدات من ربات القصور هبطن اليها على امل الحصول بشتى الوسائل ، على اجازة لتصدير شاحنة من الحبوب الى بيروت ، وعلى نية بيع تلك الاجازة بثمن عال لأحد التجار والاستعانة بثمنها على تأمين الحياة . وربما كان نزيلات الفنادق يشعرن بألم اشد من نساء العامة لاضطرارهن الى التماس الرزقة ، والتعرض خلال ذلك الى بذل ماء الوجه والكرامة .

أثر الحرب في تطور الاخلاق النسائية

سنون اربع تعاقبت وكانت كل واحدة منها اشد بلاء من التي سبقتها وامر . ثم ذهبت وتنفس الناس الصعداء، ولكنها لم تذهب دون ان تترك مخلفات شتى منها ما يذكر بالخير ، ومنها ما يوصف بالشر . اما في الجملة فقد كان اعتماد المراه على نفسها ، وجرأتها على مواجهة المصاعب ، وصبرها على احتمال الشدائد بالاضافة الى اضطرارها الى المداراه في ظروف كثيره والمصانعة من اجل البقاء ، كان كل ذلك مصدر انقلاب عظيم في اخلاقها .

وقد نوهنا في مقال سابق بأثر تلك الحرب في اخلاق نساء الخاصة ، كما نوهنا بيقظة المراه العربية على وجه عام . والذي نود الاشارة اليه هنا اشارة عابرة في صدد اعتماد المرأة على نفسها هو ذلك الافراط الذي بدا خلال الحرب بين شابات الاسر في تقدير قيمتهن وذلك في اعقاب دعوة الاتراك لتحرير المراة ، وفيما رافق تلك الدعوة من التنويه بمنزلة المراه . ولقد حملنا ذلك الافراط على ان ندون في مذكراتنا عبارة يحسن بنا ايرادها في هذا المقال . فقد قلنا : « لقد انقلب ذلك الظبي الوديع الى نمر حتى صار طالب الزواج يتساءل اذا بقي من الممكن تأمين العيش الرغيد بالاقتران بفتاة عرفوها بكل حقوقها دون التعرف الى واجباتها . »

واما نساء العامة اللواتي اضطررن للنزول الى معترك الحياة فقد كان لتلك الحرب عليهن اثران متباينان . اثر طيب مداره ان تلك المراة التي خاضت معترك تنازع البقاء لم تعد من بعد تؤمن بأنها قاصرة تحتاج دائما الى الرجل شأن الاسطورة القديمة التي ترجع الى مبدأ تاريخ الاجتماع ، كما انها لم تعد تجد خطة في العمل خارج خدرها . أضف الى ذلك ان هذه المراة التي كانت في الماضي لا تعرف الاتزان في طلباتها حتى جاز القول عنها : « المراة والولد الصغير يحسبان ان الرجل على كل شيء قدير » ان هذه المراة اصبحت بعد الحرب اكثر تدبيرا في منزلها ، واوفر تقديرا للاقتصاد ، ناهيك بأن الحرب كما علمتها الاعتماد على النفس فقد عرفتها قيمة الرجل حينما افتقدته في تلك الاعوام الظلماء . فاذا بها من بعد تقدر جهوده ، وتقدر متاعبه من اجلها ، ومن اجل سائر العيلة.

واما الاثر السيء الذي خلفته الحرب فهو ذلك الابتذال الخلقي الذي تعرض له ضعيفات النفوس من جراء نزولهن فجأة ودون استعداد الى معترك الحياة . وكم في الدنيا من افاع تتمثل بأجسام الطواويس فتهتبل كل فرصة لاطفاء النساء ، وكأنهم مساقون الى ذلك بحب الاثار

سارة المتهجدة

« سارة » هي أم الدكتور زكي المحاسني توفيت بدمشق سنة ١٩٣٣ (الاديب)

كم سألت النشور كيف يحين　　واستدارت على السؤال الظنون
انا اوصيت أن ابيت على قربك في ضجعة ثراها الحنون
سفح قيسون يحتويك ومن لي　　ببقاء الجبال حيث تكون
يوم تغدو مثل الهباء نثيرا　　حينما جن في الوجود الجنون
كيف القاك ساعة الحشر ؟ أيان　　على زحمة المصير العيون
أنت سبحت في الصباح وفي الليل بعمر قد باكرته المنون
وهديل الحمام في طلعة الفجر على صوتك الحبيب أنين
ملء سمعي وطي روحي أناجيك وتحويك في خيالي الجفون
كان لي باسمك السرور ولما　　غبت غاضت اسبابه والمعين
دأبك الصمت لا تردين صورة أمي والوجه منك حزين
يا غذاء الاشواق في كل يوم　　انس ليلي وحسرتي واللحون
ما شبعنا من الحياة ولا اللقيا امن اول الطريق نبين
ليت ، يا حبتي ، الاساطير كانت　　باعتقادي حتى البعاد يهون
كنت القاك في السماء وفي الارض وفي البحر حيث تهوي السفين
ومع الريح اذ ينوح بمسراها رسيس ينتابني محزون
كتراتيل ماريا او كأذكار ذوي الصوف حين يعلو الرنين
انا جسدتها يدي من يديها　　وبعيني من عينها تكوين
وبصوتي صدى التلاوات منها　　ان قرآنها القرين الامين
فوق اوراقه اقبل بصمات لابهامها ودمعي سخين
لو يصح الحلول خاطبت نفسي　　فاجابت عنها وراحت تبين
كلما ثوب المؤذن في الفجر تمادى بين الاذان السكون
نكأن الارواح تصغي اليه　　فوق ابراجها عليها الشجون
أين يا ام روحك الليل تسري　　اين في الجو برجها الميمون
اطبق النجم جفنه وسهادي　　مستبد ودمع روحي هتون

دمشق　　**زكي المحاسني**

لآدم من حواء بأشخاص بناتها ؟ وماذا كان ينتظر من هؤلاء المحرومات اللواتي لم يكن لهن رادع من انفسهن ولا رادع من دين الا الاستسلام في سبيل تأمين المعاش حينما لم يبق لهن ولاولادهن معيل ، وحينما لم يبق عليهن مشرف؟

ومن المؤسف بروز كثير من هذه الافاعي في ايام المحنة، هذا فضلا عن ان بعض المسؤولين ، ولاسيما اولئك الذين كانوا يتولون شؤون الاعاشة وتوزيع الحبوب، لم يكونوا خلال تلك الحرب الضروس يتمتعون بمثل ما كان يتمتع به يوسف الصديق في غضون مجاعة مصر من العفاف .

محمد جميل بيهم



نظير زيتون

نسيب عريضة: شاعر الغربتين

بقلم نظير زيتون

عندما تؤرخ حمص لهجرة ابنائها الى العالم الجديد، ستنسى منهم الكثير الاكثر والعديد الاكبر، ستنسى اولئك الذين رادوا المجاهل والقفار، وتصيدوا الدولار، وجمعوا النضار. وشيدوا القصور والمصانع، والمتاجر والمزارع. فبنوا ما شاء لهم المضاء. ورفعوا للعصامية اسمى لواء.

ستنسى حمص فتوحاتهم التجارية والعمرانية والاجتماعية. وستنسى مغامراتهم الاسطورية، وسواعدهم البناءة الوفية وستمحو من التاريخ ما نعموا به من زهو وثراء. وترف فواح الافياء. وما رفلوا فيه من بذخ ينافس خيال الشعراء، ورغادة هدباء، تتحدى احلام الصهباء.

نعم أيها السادة، هذا كله ستنساه حمص وستمحوه عندما تؤرخ لابنائها الذين ركبوا البحار واستقروا في البلدان الاميركية، ابطالا كادحين. واشبالا مستبسلين.

ستطوي كل مغامراتهم البطولية وكل فتوحاتهم المادية والمعنوية. وسائر وثباتهم الاجتماعية والحضارية ستطويها كلها على خطورة شأنها وجلالها، ذلك بأن هذه الثروات الطائلة، وهذه العناصر البشرية الحافلة، اطبق عليها مصيرها المحتوم، فاندمجت في الثروات الاميركية والعناصر الاميركية وانفصمت تلك العرى التي كانت تشدها الى حمص الام، فاذا هي اثر بعد عين، وسؤال يضل في غياهب كيف واين.

ستنسى حمص من ابنائها المغتربين عشرات الالوف، وكل ما جنوه من معاظم القطوف. وستطوي صفحاتهم بدمع ذريف وقاب لهيف.

ولكن حمص، في تاريخها للهجرة، لن تنسى ابدا، وستذكر دائما مفتخرة معتدة حفنة صغيرة من اولئك الابناء. ستذكر بالفخر والاعجاب والاطراء حفنة ضئيلة العدد، اراد لها الحرمان، ان تسعى وراء الذهبان، واراد لها القدر شيئا اسمى من النضار وامجد من الدولار. واثمن من الرياش والدار والعقار، اراد لها القدر فتحا ولا كالفتوحات. وثروة ولا كالثروات. ورسالة ولا كالرسالات. اراد لها ان تكون لامتها قلبا وفكرا وروحا وتراثا. اراد لها ان تكون نجعة ابداع. ودارة جمال. ونضرة انسانية. وشلال نور.

واراد لها ان تغني مجد امتها في امالها والامها. في تحطيم الانيار والتحرر من الاسار. وفي الوثبة الكبرى الى المثل العليا.

واراد لها ان تكون فجرا لامتها يشرق عليها من الغرب، حاملا في ثنايا اشعته وترا من قلبها. ولالاة من روحها. وشرارا من فكرها. ودفقة من انسانيتها. وريشة من جناحها، وحبات من زيتها وخمرها وبخورها.

اراد لها ان تزرع الحرف العربي في اقاصي الارض. في وطن غير وطنه، وفي تراب غير ترابه. وتحت سماء غير سمائه. ولواء غير لوائه. فينبت هذا الحرف بسحر ساحر وقدرة قادر، ويفرع ويشتد، واذا سنابله تتفجر قمحا للنفس الجائعة، وطلا للقلب الظامىء، وكوة للعقل المغلق، واخذة للعين المرتعشة، وصلاة للمعبد العريان.

ارادت هذه الحفنة من الموهوبين سعة وبحبوحة، وعيشا رحراحا في دنياها. وثروة تفوح رياها. وتتبلج ثناياها، وكأن هذا الرهط في دنياه من مطاياها. وفي اموره من خفاياها. ولقد قهقه القدر وسخر. اذ اراد لهم ما هو اعظم مما تخيلوا وقدروا. وابعد مدى مما تمثلوا وتصوروا. نعم أيها السادة قهقه القدر هازئا وانف لهذه الحفنة المختارة من تحنيط الروح بحطام الدنيا، وابى لها الا ان تعطي وتسرف. وان تسقي وتطعم. وان ترمم وتشيد. وان تسكب روحها نورا على القرطاس ورحيقا حلالا في الكاس. وريحانا يعطر الانفاس. وقوس قزح في بشر وايناس.

انها رسالة القلم الانساني الخلاق. في جلالها وتساميها وعطائها الدفاق، وهذه حال اصحابها العشاق، في كل عصر متفتح الافاق، وفي كل مصر ينشد النور والانطلاق.

واراد لتلك الحفنة المغتربة في الشمال الاميركي وفي الجنوب، ان تشقى وتتألم. وان تجوع وتعرى. وان

* القيت هذه المحاضرة في مهرجان نسيب عريضه الذي اقامه المركز الثقافي العربي في حمص تخليدا لذكرى شاعر حمص الاكبر صاحب ديوان الارواح الحائرة.

وايليا أبو ماضي ورشيد ايوب وندره وعبد المسيح حداد وسواهم في مصادفات غريبة هيأتها لهم يد القدر ، ودون ان يكون لاحدهم يد في هذا التدبير الحكيم ، الذي عاد على الفصحى بالخير العميم .

وجرت العادة في تلك المدرسة ان يوفد المجلي في بعثة الى روسيا لاستكمال العلوم العالية في جامعاتها الكبرى . وكان الواقع والمنطق يقضيان على نسيب بالسفر الى بلاد القياصرة فيتخرج دكتورا في الطب او الفلسفة او اللاهوت او الهندسة ، ولكن القدر ، لحكمة كان يجهلها الجميع آنئذ ، ثم تكشفت لبصائرنا بعدئذ ، اوحى الى ابيه اسعد عريضة بارساله الى الولايات المتحدة ، وكانت سوق الهجرة الى اميركا رائجة اشد الرواج ، بل كان مجرد الحديث عنها يسيل اللعاب الهفهاف ، ويهز الاعطاف . ويأخذ من القلب بالشغاف . فهناك الدولار والحرية والحضارة والكرامة والنور ، وناهيك بها من مغريات معذوذبات .

وكانت كل سفتجة مالية يبعث بها احد المغتربين الى ذويه ، شبكة تصطاد عشرة شبان . فلماذا لا يشد النسيب رحاله اليها حيث الرخاء والثراء والمستقبل الوضاء . وينأى عن الجامعات والعلوم حيث المستقبل محدود الآفاق ، ضيق الارزاق .

ولكن القدر كان يسخر ويسخر ...

وفي السنة ١٩٠٥ ابحر النسيب الى نيويورك حيث استقرت جالية حمصية كبيرة ، اصاب بعض رجالها ثروات واسعة ولكن النسيب سار اليها بجناح ملاك وقلب قديس لا بمنسر عقاب ، وساعد نمر ، وصولة اسد ، وعين صقر صاقر . واها على جناح الملاك الصالح الطاهر ، تحت مطارق الدولار الفاجر ...

وكان في حقيبة نسيب عريضة التي حملها الى نيويورك ، الى جانب شهادته العلمية شيء لم تلمسه يده ولا وقع عليه بصره . ولو رآه لنثر حقيبته وعاد ادراجه مستعيذا بالله .

كان في حقيبته شيء خفي يفح فيه الشؤم فحيح الافاعي في مطاردة الفرائس . ذلك ان التجربة العلمية دلتنا بعد انقضاء سبعين سنة على الهجرة ، على ان تسعة وتسعين في المائة ممن نزحوا الى العالم الجديد كانوا يحملون اكفانهم في حقائبهم دون ان يدروا ، يلفون بها تجاليدهم حين الوفاة في البلد الغريب .

اما نسيب عريضة الذي دخل نيويورك بجناح ملاك ، وشهادة علمية رفيعة وشباب ريّق ريان يتفجر احلاما عذابا وخمرا وملابا فكان يحمل في حقيبته ثلاثة اكفان ، لا كفنا واحدا ...

فالكفن الاول ادرج فيه النسيب كل ما كان يدغدغه من آمال واماني واحلام روح وجسد ، وكل ما كان يعلل به النفس من ثراء ونعماء . ورغادة عيش وصفاء . وسكون بال وارتواء . وسائر ما يجيش في صدره الكبير ، وخياله الفواح النضير . ويا لفجيعة الشاعر يثكل عذارى احلامه وهي في المهد تتلمس طريقها الى النور والحياة وبأي دمع يودعها ، وبأي زفرات يشيعها .

واحزناه . كان يرى صروح آماله المادية ، واحلامه الروحية تتصدع وتتداعى وتنهار ، جدارا في اعقاب جدار ، واحجارا وراء احجار . فيغلب عليه الانفة والعنفوان والاستكبار . ويحبس دموعه باسما وفي بسماته جرح معطار، ويجمع اشلاء آماله وامنياته واحلامه. وفتات عزائمه وانغامه . ويطويها في الكفن ويسأل الله الرحمة والرأفة في احكامه ، فمراحل التجربة طويلة شائكة ، عاصفة حالكة .

فقد قضى النسيب سنوات هجرته السبع الاولى كاتبا تجاريا في محل ابناء عمه وماذا يرجي من وراء مسك الدفاتر التجارية ذاك الذي كان يقطف بخياله الوثاب عناقيد النجوم ويصوغها نشيدا للنفس الهائمة بالجمال الاسنى ؟

ولم يكن سهلا عليه أن يحبس ما يجيش في جوانحه من زفرات ، وما يتدفق في روحه من رؤى وصبابات وما يهمس به قلبه من اغاريد وابتهالات ، ولذلك لم يلبث ان جند كل ما لديه من قوى واصدر مجلة الفنون (٢) فكانت فتحا جديدا في الصحافة العربية العصرية ، وبشرى ولادة ادب عربي متحرر من التقليد والترهل والجمود ، والنخاسة الفكرية ، والبهرجة اللفظية ، وهي آفات ادبنا في عصر الانحطاط .

لقد كان امين الريحاني صاحب الصوت الاول الذي انطلق من المهجر واجتازت موجاته البحار الى البلدان العربية. كان الريحاني عقلانيا متأثرا بادب الثورة الفرنسية، فثار على التقاليد والاقطاعية والجمود الفكري والاجتماعي، في رسالة عربية اصلاحية متحررة عن الاقليمية والطائفية والرواسب الرجعية .

ثم اصغى الشرق العربي الى صوت آخر هو صوت جبران خليل جبران ، فاذا هو قيثارة تحمل في اوتارها العواصف الى جوانب النار والنور . واذا هو حديقة ثمارها من انفاس الانبياء . واطيارها من رؤى الشعراء ، في النشوة العذراء . واسحارها من وميض الحكماء ، وازهارها من نبضات النجوم في القبلة الزهراء .

وفي ١٩١٢ صدرت مجلة الفنون فشعر القراء انهم امام كنوز باهرة في الادب المهجري الذي صاغت عقوده اقلام فتية تفتحت مواهبها عن انغام ساحرة شعرا ونثرا. وهنا لا بد لنا من ان نقرر امرا يجهله الكثيرون ، وهو انفراد نسيب عريضة بين اعضاء الرابطة القلمية كلهم ،

(٢) تولى ادارة شؤون المجلة انئذ آحد رفاق النسيب وهو الاديب الغيور نظمي نسيم نزيل لوس انجلس (كاليفورنيا) حالا والمرحوم راغب متراج وكلاهما من حمص .

بسعة ثقافته العربية، وتضلعه من علوم اللغة العربية وآدابها، ولذلك لقبوه بالموسوعة العربية وقد برزت ثقافته العربية العميقة في تعابيره وقصائده وموضوعاته التي طرقها مثل ملحمته الرائعة ارم ذات العماد وديك الجن الحمصي واحتضار ابي فراس وحديث الصمصامة وسواها مما لم يعالجه اديب مهجري آخر او غير مهجري من ادباء العربية.

والامر الثاني الذي يجب تقريره هو ان نسيب عريضة كان اول من تفنن في نظم القصيدة الحديثة القائمة على المزاوجة بين البحور الكاملة ومجزؤاتها، وبين البحور الاخرى المتقاربة في وقعها وموسيقاها مع تنويع في القوافي، اما من حيث الموضوع فالوحدة اساس في القصيدة التي يرتبط كل مقطع من مقاطعها بالفكرة والهدف والغاية، خلافا للقصائد القائمة على العمود الشعري المألوف اذ يمكنك ان تقدم وتؤخر في ابياتها وان تحذف ايضا دون ان تصاب القصيدة بأذى. وكلنا يعلم ان القصائد العربية المرتبية كانت بمنأى عن التزام الارتباط الموضوعي، فتلقى في كل منها غزلا وحكما ومديحا وحماسة الخ.. ولا شك ان نسيب عريضة تأثر بالادب الروسي الذي كان يحذقه واقتبس اشياء من اساليبه واتجاهاته، ولكنه كان مبدعا في قالب عربي اصيل، غير هجين وغير دخيل.

والامر الثالث الذي يجب تقريره ايضا هو ان نسيب عريضة لم يكن مجرد رائد من رواد الادب المهجري بل كان قائدا من قواده الى جانب العملاقين جبران ونعيمه. ولو تهيأ له شيء من سعة العيش وسكون البال لتعاقب لديوانه الارواح الحائرة، اخوة كثر. كما ان قلة ذات اليد حملته على ان يدرج في كفن آماله واحلامه جزءا كبيرا من روائع نظمه ونثره. فهل يتاح لهذه الآثار النفيسة ان تبعث من كفنها وترى النور في احضان المطابع، فتنعم الضاد بكنز ادبي جديد ينضم الى تراثنا الخالد؟ اننا لن نعدم يدا كريمة تضطلع بهذه المهمة النبيلة في هذا العهد الزاهر.

اما مجلة الفنون فحسبها فضلا انها كانت كما قلنا فتحا جديدا في الصحافة العربية العصرية ومدرسة للادب الحضاري الانساني الذي طوى خمسة قرون داجية ليلحق بمواكب النور ويرافق روح العصر في اسمى انطلاقاته.

وحسبها فضلا انها شجعت اصحاب المواهب الفكرية ووجهتهم، فاذا ثمار قرائحهم جنية شهية تروق العين والفم والانف والنفس.

وحسبها فضلا ايضا انها كانت المهد الذي نشأت فيه الرابطة القلمية فجاء نتاجها الادبي العظيم امتدادا روحيا للرسالة النورانية التي انطلقت من مجلة الفنون.

هذه الحقائق الجديرة بالتقرير والتقدير لم يفطن لها التاريخ ولا اشار اليها النقاد الذين درسوا الادب المهجري الشمالي وعلينا ان نعلنها ونجهر بها، لا من باب العصبية الاقليمية، فالمعرفة لا وطن لها ولا تخوم، بل انصافا للحق الضائع بين سوء التدقيق والتجاهل.

ومما يجدر ذكره بمجال الفخر لحمص ان ثلاثة من الادباء الحمصيين في نيويورك كانوا من عمدة الرابطة القلمية وهم الشاعر ندره حداد وشقيقه الصحفي عبد المسيح حداد بالاضافة الى العميد الاكبر نسيب عريضة رحمهم الله واحسن اليهم.

* * *

بعد هذا الاستطراد نعود ايها السادة الى الحديث عن المآسي التي حزت في قلب النسيب وطعنته في الصميم ومشت على جنبات نفسه لتزيدها قلقا وحيرة وشكا اذا لم نقل يأسا.

فمجلة الفنون التي كانت حلمه الذهبي الاكبر، عاشت في مرحلتها الاولى سنة واحدة ثم احتجبت امام الخسائر المادية التي منيت بها. ولكن نسيبنا لم ييأس، بل اخذ يلملم قواه ويشحذ عزائمه ويسعى جاهدا هنا وهناك ليقيل الفنون من عثرتها وينهض بها.

كان آنئذ في الخامسة والعشرين من عمره واحلام الشباب غضة نضيرة لدنة عطرة وارفة الظلال عميقة الجذور اذا هزتها العاصفة الاولى فهي لا تقتلعها. وقد صحت عزيمته وتحقق له ما اراد. وعادت الفنون الى الصدور وبرزت ساطعة متألقة تألق الشمس التي حسرت عن وجهها لثام الغيوم. غير ان الاعاصير كانت تتربص بها وتتآمر، فما مرت سنتان حتى انقضت عليها بصواعقها وتركتها اثرا بعد عين، فغاض بانطوائها ينبوع آماله واحلامه وكأنه واد الى جانبها بنات افكاره وعذارى رؤاه. وابكار عبقريته، ومما زاد في غمته ان جزءا كبيرا من المال الضائع كان قد رفده به ابوه في حمص، فاضاع شبه ثروة من حيث توخى الكسب.

واذا كانت مجلة الفنون قد احتجبت وخبا نورها بحكم الخسارة المادية، فذلك لان العمل الادبي المجرد والعمل الصحفي لا يجتمعان. وكيف يشفع بعد هذا جمال الحرف بديمومة مجلة الفنون التي تفتقر الى شذور من الذهب افتقارها الى شرايين من الدم والفكر. ولكن نسيب عريضة الذي كان يحمل جناح ملاك وقلب قديس آثر ان تموت عروس احلامه عذراء نقية طاهرة، على ان يهبط بها الى حضيض الصحافة التجارية المتسكعة.

وتلت هذه النكبة رزايا مادية وعاطفية عنيفة. وكان اقساها فجيعته بأخيه سابا رفيق هجرته. فاضت روحه وهو في ميعة الشباب ورد الرواد، فنثر دموعه لآلىء سوداء. في قواف من الاسى والعماء ثم اخذ يفكر في امره وعسره بعد يسره ويعالج هزال دهره. وللبحر مده بعد جزره فلم يفتح عليه بشيء. وعندئذ لاذ بقلمه



بـــردى

* * *

(بردى) نشيد خالد مـن غابـر   تـاه الزمـان بـه وعـز المشرق
غنى جنـان الغوطتين ، ودمعـه   من لاعج الذكرى يسيل ويدفـق
فاذا الخمائل تنثنـي مـن نشوة   عجبا ويشدو مطلـق ومطـوق
وأكـاد المس بالهواجس ما انقضى   مـن غابـر اضوائـه تتألـق
وأرى (أميّة) بالحديد تقنعـت   وجـرت بمضمار المكارم تعنـق
راياتهـا ملء الفضاء تقاطـرت   وكأنهـا السيل الـذي لا يلحـق
ولها اذا جـد الوغى في مـأزق   همم تضيـق بها الصدور وتشهق
في (الغوطتين) ملاحـم مسطورة   فـوق الثرى ولكل نـصر فيلق

دمشق   **عدنان مردم بك**

قانعا زاهدا فاشتغل محررا في جرائد السائح والهـدى ومرآة الفرب ، وهي صحف سياسية اخبارية ، لا تمت الى انطلاقاته الفكرية والروحية بصلة ولكنها الحاجة الى العمل الشريف . وان غير حبيب واليف . ثم ينتقل الى محرر في مكتب المعلومات الاميركي وهكذا تقطعت الاوتار وسكت الهزار . دافنا في اضالعه شدوه وصداحـه . وخمره واقداحه . وشمسه وصباحه . واستعار صوتا غريبا اذا لم يسلم من اللثغة وبحة الجفاف فقد سلم من الاسفاف . ذلك بان جناح الملاك الـذي رافق نسيـب عريضة ، لم يفارقه قط حتى في احلك الدياجي ولهذا لم يلق الحقد الى قلبه سبيلا ، ولا جرت النقمة في دمـه داء وبيلا ، ولا استسلم للعقد النفسية هزيلا عليلا . بـل بسط لاصدقائه ورفاقه جناحا من الحب ظليلا . وسقاهم من كوثر مناقبه فراتا سلسبيلا، ورعاهم بشعوره الرهيف مرشدا واخا وزميلا، ورتل لهم آيات الوفاءوالنبل ترتيلا. بلى وكانوا يتراضعون درة مواهبه ويضفرون له مـن الاعجاب اكليلا ، ما كان احبه الى القلوب وما اجدره بهـا نزيلا . مكرما مبجلا تبجيلا ، ولكن واأسفاه ، كل هذا لم يجده فتيلا ، هذا هو الكفن الاول .

اما الكفن الثاني ، فقد ادرج فيه آخر ما بقي له فـي الحياة من امل ، لقد اوحشته العزلة والعزوبة الى جانب الغربة ، فجنح الى الزواج لعله يفرج عن كربته . ويطفىء لظى لهفته وآهته واختار فتاة احلامه ولكن ابى القدر ان يمتعه بزواج انيس مثمر يسليه ويعزيه ويطوي صفحـة مآسيه . تمنى لو رزقه الله ولدا يسكب في قلبه العزاء والبهجة والامان ، ويصب هو في جوانح وليده فيضا من الحب والحنان ، فما جنى غير الحرمان . بل كان الزواج غرما جديدا ، وحملا ثقيلا شديدا ، نكد عيشه تنكيدا ، وقد كان يحسبه طريقا مستقيما سديدا . ولا غرابة ان تعصف في صدره الشجون والاحزان . وان يجيش في نفسه القلق والحيرة والشك ، وان يرتعش مأخوذا بشعور رهيف عميق ، محلولك عابس . متأزم يائس . وكأن به

نيكول كاستان

مع نيكول كاستان القادمة من

بياريتز على سفوح البيرينه

•

هلال ناجي

•

لنـــدن

اسمي نيكول
وابي كستان
واجبت بهمس وحنان :
ما اروع ان تهمس عينان
يا نجما من جبل المرجان
يا كستان

ومضينـا لمشرب وغرقنـا   في حديث عـن موطـن الاحباب
سالتني عـن قمـة الفكر في قومي   ذكرت الكنـدي والفارابـي
والفزالي والرئيـس بـن سينا   وابـن خـلدون قمـة الاعراب
والمعري الـذي تحـدث جهرا   قبل دانتي عـن ثورة الاقطاب
في جحيم معفر بلهيـب   ونعـيم مـزخـرف الاكـواب
فتراءت جذلـى وذابت يداها   بـين كفـي كنفحـة الاطيـاب

❋

حدثيني يـا حلوتـي حدثينـي   عن عيون الاشعـار عند الفرنجه
حدثيني فحدثت عن «دي فيني»   رددت شعـره بأعـذب لهجـه
ترجمي لي يا حلوتي ترجمي لي   وغرقنا ما بـين كأس وبهجـه
ولحـون منغمـات وجـو   شاعـري يثير في الصخر مهجه

قالت نيكول : والكأس الثالث في الدرب
الخمر ستسلبني لبي
الخمر ستفمض لي هدبي
ارحم هدبي
وهمست بعطف وحنان :
يا كستان : ما ابدع ان يغفو الليل على الهضب
في الدرب
يا نيكول : ساغرد شيئا من شعري
لو ذقت الطيب من خمري
اقسم شيئا من شعري
همست كستان :
من شعرك ؟ مرحى بالخمر مع الشعر
نصف الليل مضى من ساعات
والساعة باتت سكرانه
حتى الساعه
وتلاقـت شفاهنـا فـي نعـيم   شاعري والليل يطوي جناحـه
قتـل الليل آي حـلم عظـيم   ضاع منـي اذ شق عنه صباحه

الفجر تثاءب في هدبي
والسائق يسرع بالركب
والى جنبي
ثغر من ابداع الرب
امتص شذاه في الدرب
والسائق يمضي في وثب ..

يا نيكول : ما اروع ان تهمس عينان
يا نجما من جبل المرجان
يا كستة
بتر الحرفان
بتر الحرفان
اذ ذابت شفتان

ولناجي ثلاث قصائد مجهولة نظمها في استقبال العام الجديد وقد ادرجها في مجلة « الطالبة » التي تصدرها اختنا المربية الفضلى السيدة منرفا عبيد الحكيم ، وهي مجلة كان ناجي ينفحها في الحين بعد الحين بثمين شعره وطريف نثره . واولى القصائد التي ندرجها هنا نشرت بتاريخ يناير ١٩٥٣ اي قبل وفاته بشهرين وعنوانها « دعاء للعالم الجديد » ونصها :

فليقرع الحظ السعيد بكفه   ويدق بابك
بسط المنى مجلوة   مخضرة تكسو رحابك
وترى ابتسامات السعادة   حلوة ملأت شعابك
مبتصها (؟) لك غاية   ليس السواد بها حسابك
وليرعك الله الكريم   مجددا ابدا شبابك

والقصيدة الثانية عنوانها « العام الجديد : اهداف واماني » وقد نشرت في يناير ١٩٤٧ ونصها :

بالنفس امال والام   ماذا تخبيء أيها العام
مرت بنا في محنة حقب   ومضت على الاحداث اعوام
أيطل نور وهو مؤتلق   ويلوح ثغر وهو بسام.
أوكلما قلنا انجلت وصفت   هتكت قناع الصفو اوهام
فاذا الرجاء سراب لافحة   واذا اماني النفس احلام
يا عام ، كم في النفس من امل   وبها من الغمرات اقدام
وتطلع نحو العلا قدما   وخطى له تسعى واقدام
يا أيها الزمن الذي كثرت   فيه الجراح وليس يلتام
اطلع ذكاءك ، آه لو ذهبت   عنك الغيوم وزال اظلام
وتنفس الصبح الجميل على الوادي   ورقت فيك انسام
وصفت قلوب مثلما حصلت   بندي الربيع النضر آكام
هل فيك للاسعاد ايام   بالله ، بشر أيها العام

وثالثة القصائد في العام الجديد نشرت في يناير ١٩٤٢ ونصها :

غرد بالحان السلام   وابعث بشيرك في الانام
حرب على حرب أما   يرجى لهذا من ختام ؟
يا رب قد طغت النفوس فلا صفاء ولا وئام
يا رب قد بغت المطامع   فالكوارث لا تنام
أيحل هذا العيد والدنيا   ظلام في ظلام ؟
والارض عابسة الجوانب   لا شروق ولا ابتسام
حاشاك ربي في جلالك   لا وعيد ولا انتقام
هذا امتحان للورى   وغدا سينكشف الغمام
هيهات ان تفنى لنا   ثقة بعدلك واعتصام
قد مر عام قاتم   ويعود بالامال عام
وتعود رحمتك الوسيعة   بالاماني والسلام

وظاهر من سياق القصيدة المتقدمة انها نظمت والحرب الكونية الثانية في عنفوانها ، والسلام امنية الخلق جميعا وانشودة الشعراء في المشارق والمغارب .

وبعيد انقضاء زمان الحرب وحلول هذا السلام المنشود، قرا الدكتور ابرهيم ناجي قصيدة باللغة الانجليزية وضعتها فتاة مجندة اسمها « الانسة لي » فارتجل لها ترجمة باللغة العربية نشرت بعنوان « أغنية النصر » في مجلة « الطالبة » في عدد مايو ١٩٤٥ ، وهنا نصها الحرفي :

قد ولت الحرب وانفضت مجازرها   من بعد ما جرعتنا الويل والحربا
وخلفت حين ولت بلقعا خربا   وعالما عرف الالام والنصبا
لكنه بعدما ظنوه قد غلبا   وفوق اعجاز ذاك النخل قد صلبا
قد اثبت البعث، ان البعث معجزة   والنصر اعظم والدنيا لمن غلبا
وما بضحك بلا معنى ولا مرح   نودع الحرب توديع الخليين
لكن بحزن صموت في جوانحنا   وبالاسى يتجلى في مآقينا
وبالدموع التي بالشكر نذرفها   شكر على مصرع الابطال يبكينا
نبكي ونبكي لهم دمعا بلا امد   فالآن موعد حزن بات يشجينا
فلنذكرن لهم عند الردى قسما   ولننهجن على اثار ذا القسم
ولنبذلن بتشييد الذي تركوا   ولننشد البعث والتجديد في الامم
دنيا نجددها والقلب في ثقة   لا يعرف الخوف والاهجام في الهمم
فليبق حين نوفي الدين اجمعه   دين الالى هجموا للبعث في الامم
لم تذهب الحرب، بل حرب هنا بدأت   للمجد والفخر والاصلاح والعظم

ولناجي قصيدة مطوية نشرها في « الطالبة » في فبراير ١٩٤٠ بعنوان « تحقيق الاماني » وهي من شعره الضائع المضيع ، ونصها :

اسائلتي ، فديت ، عن الاماني   اجل ، لي طلبة بيد الزمان
وما امر المقادر في يميني   ولا امر الليالي في عناني
ولكني قضيت العمر حلما   كبيرا ليس يبرح عن عياني
فراح العمر عاما بعد عام   ومر الدهر من شان لشان
ولو اني طلبت به لنفسي   منى ، ما ساءني ما قد سقاني
ولكني شقيت به لغيري   فخطب الخلق اجمع ما عناني
ترى قد غير الزمن الطوايا   ترى ضاع القديم من الحنان
طلبت لهم بساطا من اخاء   طلبت لهم ظلالا من امان
وذا املي الكبير لو ان يوما   تحققه السماء ، اذن كفاني

وان لما اسلفناه من شعر ناجي الموزع الشتات بقية ، بعضها عرفنا امره ، وموعدنا باثباته قريب ، وبعضها مشاع مزجى لاسباب الضياع ، وعسى ان يكون اوان الاهتداء اليه غير بعيد .

القاهرة   وديع فلسطين

ملاكمة

أضرب بجمع يديك لا تتورع
ان انت لم تصرع خدينك تصرع
أجهز عليه ان استطعت فانت في
حرم الشريعة والنظام الامنع
لك ان تهشم انفه وجبينه
وتمل من جنبيه بعض الاضلع
القتل في كنف الظلام محرم
فابطش على مرأى الجميع وروع
سيصفقون لمن يرد رهانهم
غنما ويظفر بالوسام الارفع
مدنية قامت على سنن الاذى
فان احتكمت لغير زندك تفجع
ابت الرياضة ان تروض ضاريا
ما زال يمعن في الضلال ويدعي

وذيع ديب



محمد رجب البيومي

احمد شفيع السيد في ذكراه الثانية

بقلم تلميذه وصديقه

محمد رجب البيومي

منذ انتقل الى رحمة الله استاذي الكبير احمد شفيع السيد وانا احس في نفسي من مرارة الحزن وفي صدري من ضيق الالم ما يدفعني الى التنفيس بعض الشيء بالحديث عنه ، وقد عاودت الكلام مرة وثانية وثالثة في مختلف الصحف العلمية فما استطعت ان اجد برد الراحة مما اعانيه ، وهانذا انتهز ذكراه الثانية (توفي رحمه الله في ١٧ اغسطس سنة ١٩٦١) لاقول بعض ما يريح .

ان ذكرياته العزيزة لتؤرقني بلذعاتها الاليمة، فأنا لا ازال اذكر كيف تربيت على ادبه وانتفعت بتوجيهه ، اذ كنت اكتب البحث الادبي او انشىء القصيدة الشعرية ثم اعرض عليه ما انشىء فأسعد بآرائه السديدة واجد من ملاحظاته القويمة ما يسمو بكتابتي الى الجودة ، ولست انا الوحيد في ذلك فكثيرا ما كنت اجد من زملائي الادباء صفوة مختارة يؤثرهم الاستاذ بتسديده وتزكيته ، فكنا نجتمع زرافات في منزله، هذا يتلو قصة او ينشد قصيدة او يطالع مقالة ، واستاذنا من وراء ذلك يرسل نقده الصائب في تشجيع معتدل ، ويحيي بتزكيته وتقريظه في نفوس ابنائه روحا وثابة تطمح الى المجد الادبي وتسير قدما في مضمار النشر والانتاج .

لقد كان الاستاذ كرم الله ثراه صاحب مذهب في الاسلوب الشعري يدعو اليه في محاضراته بكلية اللغة ، ومجالسه الادبية في ندوات السمر ، فهو يميل بالقصيدة الى عربيتها الخالصة ذات البحر الواحد، والقافية الواحدة، ويدعو الى الاشراق والوضوح دون غموض في الرمز او شطط في الخيال ، وكثيرا ما قرأ علينا من ذاكرته قصائد رائعة لاعلام الشعر العربي في ازهى عصوره المتعاقبة ، وله عند كل بيت اشارة ، ولدى كل معنى وقفة ، ولا تخلو قصيدة ما من نقد صائب يبديه في غير تحامل ، وكثيرا ما كان يطلب منا ان ننشده بعض القصائد المعاصرة التي تنشرها الصحف دون ان يتسع وقته لمراجعتها ، فكنا نقدم اليه نماذج مما قال ناجي ومحمود اسماعيل وعلي طه وابو ريشة وله مع كل قصيدة وقفة طويلة تتسع النقد والتعليق .

ولقد ظل الفقيد قرابة خمسة وعشرين عاما استاذا في كلية اللغة يغرس نفوس ابنائه حب الادب والعلم ، وينمي ما يبرز من المواهب والملكات تنمية بصيرة مشجعة ، وكان درسه الادبي سلسلة تتصل بدروس من سبقه من اشياخ الادب السلفي كالمرصفي والمهدي والسكندري وعبدالمطلب، وكان رحمه الله رواية لا يشق له غبار فهو يحفظ من شعر الجاهلية والاسلام وتراث بني العباس والاندلس ما لا يكاد يلم به سواه ، ومن جميل ما يحمد له انه كان يروي كثيرا من القصائد السياسية المعاصرة التي كانت تقوم بعض الاسباب دون اذاعتها كهجاء المنفلوطي لعباس ، ومرثية احمد محرم لابراهيم الورداني ، وذم شوقي لاحمد عرابي فيمتعنا به امتاعا يزيده ما يرويه من الطرائف الادبية التي تزدحم بها كتب الامالي والنوادر ، وله في هذا الميدان سبك ظافر حتى ان حديثه العادي لا يخلو من نكتة ذوقية او تورية فنية يرسلها عفو الساعة كما تجيء .

ولد رحمه الله بالابراهيمية شرقية في ابريل سنة ١٩٠٣ ثم التحق بالازهر عشر سنوات نال بعدها شهادة العالمية سنة ١٩٢٦ متخطيا بعض سني الدراسة عن طريق الامتحان الخارجي حيث لا يمنع القانون اذ ذاك ثم اشتغل بالمحاماة الشرعية فترة قصيرة جاوزها الى التدريس بالمعاهد الدينية تسع سنوات وانتقل فيها الى كلية اللغة سنة ١٩٣٧ وصار استاذ الادب بها . وقد اشرف على كثير من الرسائل العلمية التي تقدم بها طلبة تخصص المادة في البلاغة والادب فكان يقترح الموضوع ، ويعد مراجعه، ويرسم منهجه حتى اعان نخبة ممتازة من طلابه اصبحوا فيما بعد زملاءه بالكلية فرعوا له حق الارشاد والتوجيه ولم يشغله التدريس عن التأليف فاصدر كتابا عن الادب الفاطمي والاموي ، ورسالة قيمة عن المتنبي ، واربع مجموعات مختارة من ادب العصور ، كما كتب عدة تراجم تحليلية للبارودي والمنفلوطي والبشري والحلي وقد اشترك مع زميله الاستاذ محمود رزق سليم فاخرجا كتابا حافلا عن الادب الحديث ، وزعت ملازمه على الطلاب دون ان يجمع ، وله غير ذلك مقالات ذائعة ، وبحوث شوارد ....

وكتاباته في التراجم الادبية معتدلة منصفة ، فهو

يعرض طائفة كبيرة من نصوص الاديب الذي يتحدث عنه ثم يبرز سماتها الادبية بما يجليها من غير خفاء ، بعد ان يمهد بالحديث عن نشأة الاديب وعوامل تكوينه ، ثم يتبع ما وجه الى ادبه من مآخذ فيؤيد بعضها ويرد على البعض الاخر ، وله نظرات صائبة حين ينقد في ادب ، فهو مثلا مع صداقته للاستاذ عبد العزيز البشري واعجابه بـه ، يفسح المجال لنقده في هدوء ، اذ ينقل بعض آرائه ويعقب عليها بنقضها من الاساس فالاستاذ البشري مثلا يقـول في الجزء الثاني من المختار ص ٣٣ :

« ان العبقري المبتكر من العدم ، والمبدع على غير مثال قد لا يكون لتفكيره شيء مما يصنع ، ولا لعقله دخل فيما يبدع انما هو الطبع والغريزة ينضحان بهذا ولقد يفعلانه في سر من عقله ، وفي غفلة من تقديره ، فشأنه فـي هذا شأن القمري يشدو ابدع الشدو ، ويرجع احلى الترجيع، ما يرفع لحنا ، ولا يعتمد تنغيما ، وكالوردة ينفرج عنها كمها ، وما بها ان يملأ انفك طيب شذاها ولا ان يبهـر عينيك جمال مرآها ، واني لازعم لك ان كثيرا من هـؤلاء المبتدعين قل ان يشعروا بما صنعوا ، وقل ان يقدروا حق ما ابدعوا انما هم قناطر بين ما استودع الله تعالى مـن سر خلقه نفوسهم وبين السنتهم وايديهم »

فيعقب الاستاذ احمد شفيع على ذلك بقوله من ترجمته ص ٣٦ :

« وهذا يخالف ما تعارف الناس ويكادون يتفقون عليه عن خبرة مكررة وعن طبائع نفوسهم ، فالعبقري يقـاسي في الحصول على فكرته القيمة ، ونظرياته العميقة كثيرا من المتاعب ، وقد يجهد جهده في سبيل اقتناص فكـرة واحدة ، او صياغة ما اطمأن اليه في قرارة نفسه مـن حقائق الحياة ، فالشعراء والكتاب والفلاسفة والمخترعون ليسوا هائمين في هذه الحياة تتاح لهم الثمار ويواتيهـم القدر بطلباتهم دون عناء ناصب وكد مرير » .

فالرد صائب هادىء لا يندفع ، ولا يشتط ، وتلـك عادة الاستاذ ، حتى فيما يظن به لديه الاندفاع ، فهو مثلا يدرس الادب الجاهلي بالكلية ، ويلقي المحاضرات الكثيرة في الكشف عن روائعه ومختاراته وحين وقعت الواقعة بين الاستاذ احمد امين والدكتور زكي مبارك حول جناية الادب الجاهلي على الادب العربي توجه اليه محرر صحيفة منبر الشرق الادبية فسأله هذا السؤال « بصفتكم استاذا للادب العربي نود ان تحدثنا عن رأيك في المعركة الادبية التي ثار غبارها بين الاستاذين احمد امين وزكي مبـارك منذ اسابيع حول الادب الجاهلي وايهما الموفق في آرائه وابحاثه » .

فجاء رد الاستاذ احمد شفيع في منبر الشرق ٢٣ـ١ ـ١٩٤٠ هادئا لا يخرج عن طابعه المعهود اذ يقول في اتزان :

« الاستاذ احمد امين عالم واسع الاطلاع دلت مؤلفاته على سبقه وشهدت بفضله ، وهو كاتب متزن وقور تقرأ كتاباته فتلمح فيها آثار الهدوء وترى عليها مخايل الاتزان والوقار ، ولكن لا ادري كيف خرج عن وقاره فكتب هذه المقالات التي وثب بها على الادب الجاهلي فغض من قدره ونال من مكانته ، واسترسل في ذلك استرسالا أسف له الكثيرون من عارفي فضله ورجوا الا تثير هذه المغـامرة عاصفة من النقد الجارح وقد نقده الدكتور عبد الوهـاب عزام نقدا هادئا ولكن الدكتور زكي مبـارك تلقف هـذه المقالات التي اوغرت صدره ، وحزت في نفسه فانبرى يرد على صاحبه ردا اصاب فيه كثيرا من الحقائق العلمية ورد فيه المتنكب عن الجادة الى سواء الصراط ، ولاقت ريح الاستاذ امين اعصارا من مبارك ، ولو ان الناقد اسرف في النيل من صاحبه وافرط في الغض من قيمته، والذي اظنه ان الدكتور مبارك اراد ان يبلغ مدى من الشدة بعيدا، ليكون في ذلك عبرة لمن تحدثه نفسه بالثورة الجامحـة على القديم » .

ومن يعرف اعجاب الاستاذ شفيع بالادب الجاهلـي يقدر له هذا الانصاف المتسامح لا فيما يطالع به القراء فقط بل في مجلس طلابه وهم دونه ، فقد كان من عادته ان يتبسط معهم في الموازنة والنقد تبسطا سمحا نبيـلا حتى ليروق له ان يتخلى عن بعض آرائه تشجيعا لطالب ابدى ملاحظة هامة او عقب على شرحه بجديد ، اذكر اني عارضت ذات مرة بعض آرائه في ابن زيدون امام الزملاء بحجرة الدراسة ، فابتسم الرجل ابتسام من يستمع الى التأييد لا الى التفنيد ، ثم اطرى وجهة نظري اطراء مشجعا ومما قاله اذ ذاك ان سلامة المقدمات دليل لا يخطىء على صواب النظر مهما اختلفت النتائج بيني وبينه ، فكانت سماحته الكريمة درسا لا انساه ، كما اني حدثته ذات مرة عن اسباب الخلاف الادبي بين زكي مبارك وعبد العزيز البشري ، ومضت سبعة اعوام اصدر بعدها ترجمةحافلة للبشري وقد دون بها ما حدثته عنه منسوبا الي فـي عطف وتشجيع !

اما شعره ، فقد كان مع جودته كثيرا دافقا لا يشوبه افتعال او تكلف فهو ليس ناظما محترفا ينتهز المنـاسبة ويهتبل الظروف بل يقـول الشعر صادقا مخلصا اذا جاشت غواربه في صدره ، ثم لا يحرص على جمعه او اذاعته فاذا سألته عن قصيدة ما ذاعت بين طلابه اخذ يبحث عن مسودات متفرقة لم تجمع في مكان واحد بل تناثرت في مختلف الكتب التي تغص بها مكتبته الحافلة ، ففي كتاب الاغاني ورقة تتضمن قصيدة وطنية وفي كتاب زهر الآداب مرثية لبعض اصدقائه ، وفي كتاب الامـالي مدحة نبوية ، على ان مجلة الازهر قد ظفرت في مـدى سنواتها بعشرات من قصائده سيقت اليها دون ان يعلم ، وهي المرجع الباقي لشعره الضائع ، والاستاذ يشتهر بين معارفه من زملاء وتلاميذ بعذوبة الفكاهة وخفـة الروح حتى في حديثه العادي فما تكاد تسمع اليه دقيقة

او دقيقتين حتى تسطع الروح المصرية فيما يسوق من ثورية جميلة او طرفة ساخرة ، ويخيل الي ان روح البهاء زهير اخذت تنتقل بين الاحياء لدى بعض الظروف من شعراء مصر حتى تقاسمت في العصر الحديث طائفة من رجال الفكاهة والادب كحفني ناصف وامام العبد وحسين شفيق واحمد شفيع وحافظ ابراهيم فانت لا تجد رجلا عرف الاستاذ شفيعا الا وروى عنه ما يمتع ويروق ! ! على ان اجمل مزية كانت لديه هي موهبة الارتجال السريع للقريض فكثيرا ما تعن المناسبة الطائرة في حديث متنوع فاذا شفيع يهتف بثلاثة ابيات او اربعة يرتجلها بديهة فيما يعن له ، وشعر الارتجال في اكثره واضح ملموس لم تصقله الروية المتأنية او تمده الفكرة الدقيقة ، ولكنه ينبيء عن ملكة حاضرة وقريحة مستعدة ، فاذا اطمأن الشاعر المرتجل وعمد الى الاناة فقد ملك الزمان وغاص خير مغاص .

ذهبت مرة الى منزل الاستاذ، وطلبت كتاب نفح الطيب، وكنت اتوقع ان اطالع النسخة البيضاء التي صدرت عن دار المأمون ولكن الاستاذ فاجأني بنسخة صفراء تآكلت حروفها واختلطت هوامشها بمتونها فاجهدت قريحتي وصغت هذين البيتين :

طلبت النفح مشكولا ولكن	بعثت لنا بمضطرب سقيم
كصب رام ان يلقى مليحا	فأوقعه الزمان على دميم

وما كدت اعرض البيتين على الاستاذ حتى ارتجل منشدا :

بعثت النفح حين وثقت انى	بعثت به الى فطن عليم
وما يجديك من شكل ممل	وانت من العروبة في الصميم

وثانية من هذا الوادي فقد انتقلت من القاهرة بضع سنوات للتدريس في اماكن نائية ، ثم قابلت عرضا في العطلة الصيفية فانشدته بضعة ابيات قلت فيها :

لقاهرة المعز صبوت حتى	ليرجف خافقي بين الضلوع
صبوت لها لامرين استباحا	ذماء الصبر في قلب صديع
لدار الكتب وهي اعز دار	ومجلس كوكب الفصحى شفيع
هما متماثلان فما لديها	يصاب لديه في ذهن ضليع
لقد جادا على قلمي فجلى	بما جاد الغمام على الربيع
وتلك تفيدنا علما وهذا	يزين العلم بالخلق الرفيع
بشاشة مجلس وسخاء كف	وظرف نم عن ذوق بديع

فما كاد الاستاذ رحمه الله يستمع الابيات حتى انشد من الوزن والقافية :

وقاهرة المعز اليك تصبو	كما تصبو الرءوم الى الرضيع
لقد عهدتك شبلا عبقريا	فكيف تراك ايام الربيع
تزف لها الروائع ناصعات	على نسق من الفن الرفيع
وذلك فضل ربك لا سواه	وليس لدار كتب او شفيع

هذا بعض ما سمعته من ارتجاله وقل ان ترى من مريديه من لم يسجل مقطوعة من عفو شعره ، رسب احد طلابه مرة في اللغة العربية ، وقابل الاستاذ متألما فارتجل على البديهة يواسيه :

أبناء مصر وهم لدى	هيجائها مثل الأسود
قد أوجبوا حرب اليهود	فأسقطوا لغة اليهود

وذبح خروف الاضحية ذات عيد ثم سأل عنه في الظهيرة فلم يجد من لحمه شيئا فابتسم قائلا عفو الخاطر:

ستون رطلا قد مضت لسبيلها	عصف الرياح بواهن الكثبان
ذهبت ضحيتنا السمينة خلسة	ومضى الخروف كأنه رطلان

وامثال ذلك كثير مما يتطلب تدوينه رجوعا الى اناس متفرقين وليتهم يجتمعون لنقيد من افواههم ما يحفظون!

اما اخلاقه الكريمة فشاهدنا القوى على اصالتها المتينة انك لا تعرف بين زملائه العلماء او ابنائه الطلاب انسانا واحدا لا يلهج بالثناء عليه ، فقد كان رحمه الله يعيش لغيره لا لنفسه ، وكثيرا ما تردد على المصالح العامة ، والوزارات المختلفة في شئون الضعفاء من ذوي الحاجات متحملا كل عنت واجتهاد لينهض بعائر او يذهب بمحنة، وقد يعطي من مرتبه المحدود اذا اعوزت الحاجة وقامت الموانع ، وله في هذا المجال انماط من الفتوة العربية جديرة ان تعيد مجد الاريحية وقصص المروءة ، وقد كان القدماء من مؤلفي كتب الادب يحرصون على تسجيل نوادر الكرماء ، وفعلات الاريحيين حتى امتلأت باخبارهم الجليلة صحف التراث القديم ، ونحن اليوم لا نعنى بتسجيل شيء مما نراه حتى ليظن الكثيرون ان الخير قد انقطع من الوجود ، واولى بنا ان نعود الى تسجيل ما نعلمه من بيض الايادي في سواد الايام فنذكر عن الاستاذ احمد شفيع مثلا انه كان يفرح بالضيف فرحا لا يوصف ، كنت ازوره بالليل فاجد الثلاثة والاربعة من ضعفاء الناس يأوون الى بيته من القرى النائية عن القاهرة لقضاء بعض الضرورات اعتمادا على كرمه واستنادا الى وساطته ، فلا يكتفي بالمسعى في مصالحهم لدى الحكومات بل يأكلون وينامون عنده وربما دفع لذوي الفاقة منهم ما يقوم بنفقات المواصلات في القطار والترام والسيارة بالغا ما بلغ ، على ان هشاشته عند اللقاء وبشاشته في السمر والاضحاك . وانه بالغريب الحي مما يشجع الطارقين على زيارته بعزم واقدام ! ! وقد كان يكرر التحية والالطاف من الفواكه والمشروبات مثنى وثلاث ورباع عن عطف اصيل واريحية نادرة . » زاره ذات ليلة فضيلة الاستاذ الكبير الشيخ محمود ابو العيون المصلح الديني بمصر والكاتب الاجتماعي الاشهر ، وهو يومئذ سكرتير الجامع الازهر فقدم اليه — وكنت حاضرا — فنجان القهوة فقط ، فتعجبت كثيرا وقلت يا سبحان الله يأتي من هب ودب من الناس فيتمتعون باللذيذ من الفواكه ويشرب القهوة ابو العيون !! فأجابني الاستاذ شفيع اجابة تمر الليالي ولا انساها حتى القى الله ، قال في بساطة : يا استاذ رجب الشيخ ابو العيون ضيفي وهو غير محروم وهؤلاء ضيوف الله ويفرحون بما يطعمون ، فمن بليغ عشاق المروءة العالية ان القرن العشرين كان يضم بين ابنائه امثالا رائعة كالاستاذ شفيع ،

الخادمة وفستانها الجديد

فستاني سبعة ألوان ... ما أجمل لون الفستان
تمتد خيوط منه تداعب ربوة صدري الجوعان
ويلف يلف على خصري نزقا كالطفل النشوان
واذا أمشي تتهدل منه شفوف ربيع جذلان
وانا ارقبه .. أتحسى فيه حرمان الحرمان
جوعي .. والخصب .. ربيع الارض .. مشاتل ورد ريان
والجوع هنا .. جوع الانسان لنضبة حب وحنان

* * *

فستاني .. يا أجمل لون غني لمسائي اليقظان
هل تدري ؟ في توقي للقائك جبت فضاء الاكوان
عانقت الحب .. وعانقني .. ورفضت الوف الفرسان
وحلمت بمن يهواك علي .. بمن يسترحم احضاني
لكنك يا فستاني جئت ، وأرهق يومك وجداني
فالشارع كان يمور وليس يحس بثورة بركاني
لم يشهق درب ، لم يشهق بشر بنشيد استحسان
لم تقف الاعين ذاهلة ، لم تجمد حتى لثواني
فتهدم قلبي .. وارتعشت أبعاد مكاني وزماني

* * *

وعدوت .. عدوت لسيدتي .. ابكي وتولول احزاني
لاقول لها : يا سيدتي ما اقبح لون الفستان
قولي : هل مات الضوء ؟ وهل بهتت الوان الالوان ؟
ما احد أطراه .. ابدا .. لم يشعر أحد بمكاني !
وتقهقه سيدتي .. فتريق شعاع الضوء بأجفاني
وأصيح : عرفت .. عرفت حقيقة جرحي.. فورة غثياني
فستاني حلو .. لكني .. انا فيه .. بقايا انسان

القاهرة — محمد احمد العزب

ذات نصيب موفور من ادب النفس ومكارم الاخلاق ، ولست احابيه في ذلك فقد تقدم الى عمله بين يدي الله، ولم يبق للمحاباة مجال يتوهمه الناس ، وكان يجشم نفسه الرد على كل رسالة تأتيه في شأن من شئون البذل والمسعى بعد ان ينفق غاية الجهد في تحقيق ما يستطيع ، كما كان يسطر لزملائه وطلابه رسائل بديعة تبتدىء دائما باسم الله وحمده ثم تفيض بضروب من المثل السائر والقافية الشرود فقد كان محفوظه الشعري غزيرا دافقا يفي بما يتطلب من المعاني والافكار ، ثم يميل بأسلوبه الى نوع من البديع الطبيعي السهل كما نعهد في رسائل حفني ناصف ومحمد المويلحي وحمزه فتح الله مترسما في اكثرها طريقة ذوي البلاغات من صدور القرن الرابع الهجري ، مترسلا تارة ، وساجعا تارات ، فهو مرة ابو حيان ومرة ابن العميد ولك ان تزيد .

هذا غيض من فيض اردده في ذكراه واهما اني اخفف قليلا مما يعتلج بنفسي من لظى الاسف ، واجفف قليلا مما يترقرق من ساخن الدمع وهيهات اذ كان الامر على نحو ما قال الشريف الرضى :

رئيتك كي اسلوك فازددت لوعة — لان المراثي لا تسد المرازيا
سلام على شفيع ! !

الفيوم — محمد رجب البيومي

سفينة الفضاء

بولس غانم

القاهرة



أعجوبة الزمن الحديث وليدة العقل المنير
وسفيرة الدنيا الى العليا وانعم بالسفير
اخلى سليمان الحكيم لك الطريق الى الاثير
ومشى بساط الريح بين يديك كالعبد الاسير
لم تعتلي متن البخار ولا السحاب ولا البحور
كلا ولا حملتك للاجواء أجنحة النسور
لكن علا بك للفضاء شعاع عقل مستنير
دفعت بك النفثات تخرج من عقول لا صدور
من فوهة الصاروخ أسرع من نداء من نفير
في سرعة الفكر المثار وخفقة القلب الكسير
نفحات وحي ألهمت من فضل علام قدير
أوحى الى الانسان حتى شق اسداف الستور
ليرى الدليل على وجود الله في فلك يدور
تخفين في طياتك الرواد اخفاء الضمير
فاذا بهم قوم خفاف الجسم في وزن العبير
خطرات فكر في الهواء بغير اجنحة تطير
عبروا الاديم الى الفضاء الى الخلاء بلا جسور
لكنهم سيقصرون عن الوصول الى السدير

* * *

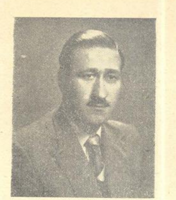
أسبرت اغوار الفضاء . سفينة الفلك الصغير
ورايت بعض عجائب الخلاق في الفلك الكبير
ارايت في القمر الذي عبدوه في خالي العصور
جرثومة الاخصاب في ابناء آدم والبذور
وجمال ما ألقى عليه الشعر من قول أثير
به شبهوا الحسناء والغيداء من دعج وحور
ام ان ذا بلد قفار كل ما فيه صخور
لا تستقيم به الحياة ولا يرف به الشعور

* * *

هل ذا خبرت الشمس باعثة الحرارة والسعير
هي ربة القدم المجوس وبابل وبعول صور
جعلوا البنين لها الضحايا في العشية والبكور
أتكون محرقة الورى بك البداية والدثور ؟
أرأيت هندسة الكواكب اذ تدور واذ تحور
تتحطم الافلاك لو ضلت خطاها في المسير
أرأيت أقمارا تداركها الخمود على الدهور
لم لا تجدد نفسها قبل التضاؤل والفتور
لو انها خلقت ولم تخلق لعادت للظهور

* * *

أوما رأيت وراءها ذا الكون وجه سنى ونور
بالعلم يدركه النهى بالعقل يبصره البصير
ما كان خلق الارض عفوا . كان من فعل القدير
بدلائل التحويل والتبديل في الفلك الكبير
ودلائل الذرات تطفأ في قليل او كثير
وحقائق الاديان جاءت بالبشير وبالنذير
من قال يوما غير هاذا فهو ضليل كفور



عيسى الناعوري

الروائي الايطالي ايليو فيتوريني

ELIO VITTORINI

بقلم عيسى الناعوري

في مقدمة الترجمة الاميركية لرواية (محادثة في صقلية) للروائي الايطالي ايليو فيتوريني ، كتب الروائي الاميركي الشهير ارنست همنغواي يقول : « رواية ، واكثر من رواية ، في رحلة خيالية مثل (دون كيشوت) او مثل (النفوس الميتة) لغوغول ، وهي حياة كاملة لام وولدها : وفي الام تتمثل الارض المقدسة التي تناقش وتعقل ، وفي الابن عذاب احساس مسيحي متجدد . واما زمن الرواية فيجمع بين الماضي والحاضر . انه لمن احسن الكتاب الايطاليين الجدد » .

وقال تنيسي وليمز : « ليس في عالم اليوم روح الطف وارق من روح القرويين الايطاليين ، والصقليين منهم بنوع خاص ، وفيهم اكمل ما في العالم من نبل . وقد حوى كتاب فيتوريني كل ذلك » .

ومما قاله الشاعر الانجليزي ستيفن سبندر في رواية (محادثة في صقلية) كذلك : « عندما ينتهي المرء من مطالعة الكتاب يحس بانه اكتسب خبرة نافعة ، لا من حيث الفن فحسب ، بل من حيث الحياة كذلك . وموضوع الكتاب هو الجنس البشري ، وهو رحلة تنطلق من شكوك الانسان الى يقين الانسان » .

ورواية (محادثة في صقلية) هذه وضعها فيتوريني في اواخر عام ١٩٥٧ ليصور بها ، كما يقول ، « العالم الذي اهين بالفاشيستية والخوف » ، وقد تلاحقت طبعاتها بسرعة ، حتى لقد ظهرت طبعتها الثامنة قبل ان يمر حول واحد على كتابة اول صفحة منها .

ويعتبر فيتوريني واحدا من اهم الكتاب ورجال الفكر الايطاليين المعاصرين . وقد جاء في احد المعاجم الايطالية التي تعنى بالتعريف بالكتاب ما يلي : (ان ايليو فيتوريني يعتبر مع تشيزاري بافيزي) من معلمي الاجيال الجديدة . وليست اعماله الادبية وحدها هي التي تعلمنا بل هو نفسه: ايليو فيتوريني الانسان الذي صمد في حقل الثقافة تارة، وطورا في حقل السياسة ، ضد كل اتجاه التزامي . ان فيتوريني لم يرض قط بأن يقف موقفا مؤيدا او مناهضا دون مناقشة ، فلقد كان دائما يحكم التاريخ في اسباب ما يقع عليه اختياره . ذلك هو تعليمه ، وهو دائما تعليم عملي ، وتعليم لاجل « الكرامة الانسانية ») .

وحينما ظهرت روايته (القرنفلة الحمراء) في طبعتها الاولى عام ١٩٤٨ ، اعتبر النقاد الايطاليون المقدمة التي وضعها لها فيتوريني عرضا اساسيا للقصة الايطالية في زمن ما بعد الحرب العالمية الثانية . وقال فيهـا الناقد الايطالي الكبير (كارلو بو) : « انها ذات اهمية كبيرة ، لانها تمثل نقطة الالتقاء بين رسالة الشاعر ، وعمل الاديب ، وحيوية الباحث ، وتفسر سلوكه الادبي الى حد كبير ، كما تفسر ميدان عمله ، وسمو مكاسبه . وفي هذا الكتاب رسم فيتوريني الخطوط وحدد الطريق للقصة الجديدة بالتعبير ، في مجموعها ، عن احساس عام وعن طبيعة لا تخضع للتحديد ، دون ان يكون من الضروري ان تختص بالاشخاص ، والاحداث ، والمشاعر الخاصة بالاشخاص » .

ورواية (القرنفلة الحمراء) هذه كان فيتوريني قد شرع في كتابتها عام ١٩٣٣ ، ولكنه لم يستطع نشرها في كتاب في العهد الفاشيستي ، وحاول ان ينشرها متسلسلة في مجلة (سولاريا) التي كان هو احد محرريها في فلورنسا ، الا ان السلطات الفاشيستية لم تلبث ان حالت دون الاستمرار في نشر فصولها في المجلة ، وهكذا ظلت الى ما بعد سقوط الحكم الفاشيستي ، حتى قيض لطبعتها الاولى ان تعرف النور عام ١٩٤٨ .

وفيتوريني اديب صقلي ، ولد في مدينة سيراكوزا في ٢٣ تموز عام ١٩٠٨ ، وكان ابوه عاملا في السكة الحديدية، ولم تكن حياته في صغره سعيدة ولا كانت دراسته منتظمة . وحين بلغ الخامسة عشرة من عمره اخذ يضرب في الحياة بجهاد مليء بالمشقة : فاشتغل عامل بناء ، ومساعد بناء ، ثم مصحح تجارب في مطبعة . وبدا الكتابة في سن مبكرة وهو ما يزال في التاسعة عشرة من العمر . وكانت اقاصيصه ومقالاته تزعج الحكم الفاشيستي الدكتاتوري ، مما ادى الى منعه من كتابة شيء في الصحف اليومية. ثم عمل في الصحافة الادبية ما بين عامي ١٩٣٠ — ١٩٤٠ ، فانضم اولا الى اسرة مجلة (سولاريا) ثم الى اسرة مجلة (ليتيراتورا) في فلورنسا .

وفي الحرب العالمية الثانية انضم فيتوريني الى صفوف المقاومة السرية ، وراح يناهض الحكم النازي — الفاشيستي

في ايطاليا . ومن فترة النضال هذه استوحى رواية جعل عنوانها (رجال ولا . . .) اعتبرت في ايطاليا (قصة المقاومة).

ويعمل فيتوريني اليوم رئيسا لاحد اقسام النشر في دار (موندادوري) للنشر في ميلانو ، ويشرف على سلسلة روائية عنوانها (كبار الكتاب من جميع الاقطار) ، وفي هذه الدار عينها عرفته عام ١٩٦٠ ، وهي كبرى دور النشر في ايطاليا ومن كبريات الدور العالمية .

في عام ١٩٣١ اصدر فيتوريني كتابه الاول (بورجوازية صغيرة) ثم تلاه في عام ١٩٣٦ بكتاب وضعه منذ عام ١٩٣٤ ولم ينشر الا بعد عامين ، وعنوانه (سردينيا كطفولة) . ومضت رواياته وكتبه تتلاحق بعد ذلك ، وكذلك ترجماته لبعض الادباء الاميركيين ، من امثال (همنغواي ، وفوكنر ، وشتاينبك ، وساروبان) وغيرهم ممن لم يكونوا معروفين جيدا آنذاك في ايطاليا . ولكن تلك الترجمات لم تكن تروق في اعين الحكام الفاشيست ، فما كادت تظهر الطبعة الاولى من كتابه (مختارات من الادب القصصي في اميركا الشمالية) عام ١٩٤٠ حتى صودرت الطبعة بكاملها ، لان السلطات الحاكمة اعتبرتها تحريضا على حب الحرية والديمقراطية المفقودتين في ايطاليا في ذلك الحين .

حياة ملأى بالنضال والمشقة والجهود المتواصلة في سبيل الحرية السياسية والفكرية لم تنقطع منذ الشباب المبكر ، يرافقها استقلال واع في العقيدة السياسية والفنية معا ، كان من نتيجته ان اصبح فيتوريني في وقت قصير بين اعمدة الفكر الايطالي الحديث ، واصبحت آثاره الادبية تجد لها صدى واسعا ، لا في ايطاليا فحسب بل في العالم الغربي الواسع كذلك ، في اوروبا واميركا .

واذا كانت جميع اعمال فيتوريني الادبية لها اهميتها الكبيرة لديه ولدى قرائه على السواء ، فان من اجدر هذه الاثار بالاهتمام مؤلفاته التالية :

١ – (القرنفلة الحمراء) – التي سبق ذكرها ، وهي من اعماله الادبية المبكرة الناضجة ، ولعلها كانت «التململ» القلق ، او التحفز التمهيدي المعبر عن عدم الارتياح الى الحكم الفاشيستي الصارم البغيض لديه ، ذلك التحفز الناقم الذي لم يلبث ان عاد فانفجر ناقما ساخطا متمردا في رواية (رجال ولا . . .) التي صور بها فيتوريني ، بعد سقوط الفاشستية ، شدة المقاومة وعنف الثورة الشعبية العارمة في مدينة ميلانو ابان الحكم النازي – الفاشيستي المزدوج في الحرب العالمية الثانية . ولقد رات السلطات الحاكمة في الفصول التي نشرها فيتوريني من رواية (القرنفلة الحمراء) في مجلة (سولاريا) ان القلق الذي يعانيه بطل الرواية الشاب (اليسيو) انما هو قلق الشعب بأسره ، وامتعاض الشعب برمته من التحكم الصارم الرهيب . ولئن كان مسرح احداث الرواية الارض الصقلية التي نشأ فيها فيتوريني ، فان الشعب الايطالي برمته يجد صورته في ذلك القلق المتململ المتحفز . فالرواية – كما يقول لونزو جيليي – : « لا تخص فيتوريني وحده بل تخص جيله ومجتمعه ، كأنما اشتركا جميعهما في كتابتها ، واشترك فيها كذلك كل من مر بالتجربة عينها . . . وهي ليست وثيقة تحفظ فحسب ، بل هي كذلك فترة ذات اهمية خاصة من تكوين مؤلفها » .

٢ – (محادثة في صقلية) – وقد شرع فيتوريني في كتابتها عام ١٩٥٧ ، ويعتبرها بعض النقاد « البداية الفعالة للتجديد في الادب الايطالي المعاصر » . وهي قصة شاب صقلي – وصقلية هي دائما اكبر مصدر للوحي لدى فيتوريني – كان قد غادر صقلية الى الشمال سعيا وراء الرزق ، ثم استبد به الحنين الى والدته العجوز في قريته، فعاد يحمل فقره وجوعه ، ومع الفقر والجوع يحمل قلبه الطيب البسيط ، لكي يرى امه بعد غياب طويل . وفي القرية البائسة الفقيرة ، وفي البيت الذي يدل مظهره وكل ما في داخله على الفقر والبساطة ، يمضي خيال فيتوريني البارع فيصور الحياة بكل ما فيها من بساطة وجهل وفقر في ظل التسلط الرهيب والدكتاتورية التي لا ترحم . والقصة في حد ذاتها في غاية البساطة ، كالقرية الساذجة التي تتحدث عنها ، وكالعجوز الطيبة التي تصورها ، ولكن روعتها هي في هذه البساطة الجميلة : بساطة العامل الامي ، وامه العجوز الكادحة للعيش دون رجل الى جانبها ، والقرية الغارقة في وداعة الحياة البدائية القليلة التكاليف والتعقيدات على الرغم مما تعانيه من بؤس وفاقة . ولكن للقصة ، الى جانب البساطة الجميلة ، اهمية اخرى اجتماعية من حيث هي تعبير عن كراهية الظلم والتسلط والكبت ، التي لا تجلب على الشعب غير الجوع والجهل والتعرض لمختلف الامراض والاوبئة .

٢ – (رجال ولا . . .) – وهي رواية ذات اساس سياسي ، تصور المقاومة الحزبية في اواخر الحرب العالمية الثانية ، بعد شهر سبتمبر من عام ١٩٤٣ . وهي تصور نضال الخلايا الحزبية في ميلانو ، واستماتتها في سبيل انقاذ ايطاليا من الحكم الرهيب المزدوج : الفاشيستي – النازي ، وتنتهي بمصرع قائد المنطقة وجلادها الرهيب الذي كان يعرف بين المقاومين باسم (الكلب الاسود) ، وهو من الضباط الالمان ، ومصرع رجاله معه . وفي ثنايا الرواية صور من الاضطهاد الرهيب الذي كان يتعرض له الايطاليون بحجة مقاومة التمرد ، او بحجة القضاء على المقاومة . وليس من شك في ان فيتوريني قد صور حياة النضال التي عاشها بنفسه ، وهو يناضل مع رجال المقاومة في المدينة نفسها التي جعلها مسرحا لروايته كما كانت مسرحا لنضاله العملي . وهو في روايته هذه ، كما هو في جميع رواياته ، لا تهمه الحوادث ولا الاشخاص ، ولا الميول والاهواء التي يندفع بها الاشخاص ، وانما يهمه ان يقدم للقارىء حياة تمشي وتتحرك في المشاهد النموذجية

التي تمثل الحياة في واقعها الحي ، بحيث يحس القارىء بانه يعيش القصة ، لا يقراها فحسب ، مما جعل بعضهم يقول في محاولة تحديده بعبارة خاطفة : « لو شئنا ان نعرّف فيتوريني ، الانسان والكاتب ، بتحديد موجز لقلنا انه (شاعر مدني) » .

وهناك مؤلفات وروايات اخرى غير هذه لفيتوريني لها اهميتها كذلك ، وكلها مترجمة الى العديد من اللغات الغربية ، ونذكر منها : (ايريكا واخوتها) وهي قصة فتاة اضطر والداها الفقيران الى ان يتركاها وحدها مع اخوتها، ويضربا في الدنيا الواسعة بحثا عن الرزق . وفي القصة تصوير لما تعرضت له الفتاة من عناء والم وهوان في سبيل الدفاع عن حقها هي واخوتها في الحياة الحرة ، كما تصور ايضا مأساة ابيها العامل في حياته النضالية القاسية ، التي هي في الواقع حياة الايطاليين انفسهم في عهد الطغيان الفاشيستي .

وهناك رواية (جبل سمبيون يغامز جبل فريوس) — وهي قصة عامل قديم ضخم الجثة ، قوي البنية ، اقعدته الشيخوخة والفقر وطول النضال العملي في حفر الطرق بين الجبال . وفي منزل ابنه وكنّته يعيش شيخوخته البائسة صامتا صمت القبور ، خاملا مقعدا ، تتذمر منه كنته لانه لا يفعل شيئا غير ان يأكل ما تكسبه هي من تجوالها بين الحقول لالتقاط الهندباء وحبات البطاطس والحشائش البرية ، وما قد يكسبه زوجها العامل حينما يتاح له ان يجد عملا . ثم يسمع مرة حديثا يدور بين كنته وزائر اخر كان مرة من زملائه العمال في حفر الطرق الجبلية ما بين جبلي فريوس وسمبيون — في طرفي الشمال الايطالي — ويقول العامل ان الفيل حينما يشعر بدنو اجله يبتعد عن المناطق المطروقة من الفيلة الاخرى لكي يموت وحيدا ، لا يدري بموته أحد . وعند ذاك ينهض العامل الشيخ — الذي يشبه الفيل بضخامة جثته — ويغادر المنزل وحيدا الى جهة مجهولة بعيدة لكي يموت بعيدا كما تفعل الفيلة الهرمة . وفي هذه الرواية من صور الفقر والجوع والهوان ما لا يكاد يصدقه العقل .

وهناك ايضا رواية (نساء مسيّنا)، ورواية (الفاريبالدية) وهما لا تقلان عن رواياته الاخرى من حيث تصوير مظاهر الفاقة والجهل والبؤس والنضال . وكتاب بعنوان (يوميات علنية) جمع فيه المؤلف كثيرا من مقالاته ودراساته النقدية التي كتبها منذ عام ١٩٢٩ حتى عام ١٩٣٧ الذي صدرت فيه الطبعة الاولى من الكتاب . ولعل الميزة الكبرى لهذا الكتاب هو انه يبين مدى النضال الجبار الذي خاضته الثقافة الايطالية في عهد الطغيان الفاشيستي ، لكي تقف على اقدامها ، وتحدد مكانتها بين الاداب الغربية المعاصرة. ولقد ساهم ايليو فيتوريني في هذا النضال العنيد مساهمة فعالة حتى اصبح من بين القادة في ميادين الثقافة الايطالية المعاصرة .

والذي يرى فيتوريني بشخصه وبقامته الطويلة ، وجسمه الممتلىء ، الزاخر بالقوة والنشاط والحيوية ، ومشيته النشيطة الثابتة ، ورأسه الشامخ المتوج بالشعر الكثيف القصير الاشيب ، يحسبه لاول وهلة مصارعا لا اديبا . وهو مصارع عنيد فعلا ، ولكن في ميادين الادب والفكر ، وعملاق من عمالقتهما في ايطاليا الجديدة التي تساهم في الفكر الغربي اليوم مساهمة اكيدة فعالة : تعطي بمقدار ما تأخذ ، وتعطي بسخاء وحيوية وجدارة .

عمان — عيسى الناعوري

اغنية للنهاية

وانتهينا
عقد الصمت أغانيه علينا
والرياح الهوج باحت للروابي ما جنينا
فرصة كانت .. وضاعت من يدينا
كلما عدنا .. تشاكينا اليها ،
والهوى يبكي بجنبينا غريبا ، فانطوينا .. !
كان وردا ، كان عطرا حالما في وجنتينا
كان بالامس حنينا خافقا في جانحينا ..
كان وحيا رائعا نادى الينا ، فالتقينا
بات وهما يغمر الارض شحوبا.. فانثنينا ...!؟
صار شوكا .. بات حقدا
يزرع الدرب رياحا وغبارا ، فانحنينا
ولوى غصن شبابينا حزينا آسفا ، يومي الينا..
فبكينا .. وانتهينا ..
أنت في دربك .. من حيث أتينا .. ؟
وانا من هاهنا ، أصبو ، وأقتات الهوينا .. !
رسم البعد تجافيه علينا
لم يعد للحب صوت ساحر يفري كلينا ..
باحت الريح حكايا ما بنينا ؟ ؟
ثرثر النهر حديثا كان بالامس لدينا ،
ما رويناه بتاتا .. ما روينا ..
أي واش زور الطهر.. خطايا غلفلت في رئتينا
أي ذنب طعن الحلم
وخلاه جريحا شاكيا في مقلتينا ..
أي لغو ؟ وزع الجيران عنا ،
فابتعدنا ، واستحينا ..
جرف السيل امانينا ، فما عادت الينا ..
كنا بالامس ربيعا في الاعالي وارتمينا ..
عقد الصمت أغانيه علينا .. وانتهينا

دمشق — اسماعيل عامود

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من العروة الوثقى في لندن

* * *

كلمة intelligensia جاءت في الاصل من الروسية ، واظن ان اول من استعملها الكاتب الروسي ترغنيف ، واستعمات اول ما استعملت في روسيا للدلالة على طبقة من الاشخاص يعتبرون انفسهم ممثلين للراي المتنور القائم على الذكاء المتفوق في الامور السياسية والشئون العامة. ثم تطور معنى الكلمة تدريجا حتى صار يطلق بصورة اجمالية على طبقة من الاشخاص تظهر على نفسها العلم والفهم والمعرفة عن طريق العقل لا عن طريق الحواس . ثم عدت الى قاموس اوكسفورد في طبعة سنة ١٩٣٤ فوجدت فيه ان انتليجنزيا تعني طبقة من الامة (وخصوصا في روسيا) ترمي الانفراد والاستقلال في التفكير . وفي طبعة سنة ١٩٣٦ وجدت ان انتليجنزيا تعني الجزء المتعلم من السكان المعتبر بانه قادر على تكوين الراي العام . وجاء في احدث طبعة لقاموس اوكسفورد ان انتليجنزيا تعني الطبقة التي توصف بالثقافة والذكاء الفائق وذات الاراء السياسية المتقدمة . اما القواميس الامريكية الانكليزية فتكاد تكون خالية من هذه المعاني ، ولا تكاد تذكر عن هذه الكلمة الا انها تعني طبقة المتعلمين المثقفين ذوي المعارف . وهذا هو المعنى تقريبا الذي وجدته في أحد قواميس لاروس الفرنسوي .

وقد فكرت في اقرب معنى لكلمة انتليجنزيا ، وخطر ببالي كلمات مختلفة ، بعضها مترجم للاصل الذي اشتقت منه الكلمة وبعضها الاخر دال على المعنى بصورة عامة وكنت على وشك اختيار عبارة (المفكرون الناقمون) ، ولكنني عدلت عنها واخترت كلمة (الفهماء) لانها اقرب الى الاشتقاق ، ولانها من ناحية اخرى تدل على زيادة الفهم ، وهذا ما ينطوي عليه معنى انتليجنسيا . ولذلك وضعت عنوان هذا المقال بعبارة (طبقة الفهماء) .

ان التعريفات التي ذكرتها آنفا تعطينا فكرة ، اعتقد انها واضحة ، عن هذه الطبقة من المتعلمين والمثقفين . ولكن لا بد من اعطاء صورة موجزة عن الملابسات الاولى التي احاطت بهذه الكلمة عند توليدها ، حتى نتصور على وجه الدقة هذه الطبقة ما هي وما الاوضاع التي ادت الى وجودها . ويجب قبل كل شيء ان نتذكر ان طبقة الفهماء هذه لم توجد عفوا ولا عبثا ، بل انها كانت نتيجة الظروف الاجتماعية في البلاد التي وجدت فيها ، ونتيجة لتطور اجتماعي كان لا بد منه . ويجب ان نتذكر ايضا ان هذه الطبقة كانت مسوقة ، بحكم الظروف ، الى النقمة على الاوضاع القائمة والى سلوك مسلك فكري يرمي الى تغيير هذه الاوضاع واستبدالها بأوضاع جديدة . فطبقة الفهماء اذن طبقة هدامة من جهة ، غايتها هدم الاوضاع القائمة ، وبناءة من جهة اخرى ، هدفها الاستعاضة عن تلك الاوضاع بأوضاع جديدة . وظهرت هذه الطبقة بأجلى مظاهرها قبيل الثورة الفرنسية ، وقبيل الثورة الروسية .

ولكن ما هي هذه الطبقة ؟ هي طبقة كانت بين طبقتين : طبقة الاغنياء او المتنفعين بالنظام القائم وطبقة الفقراء او المحدودين . فالطبقة الاولى كانت لا تريد بالطبع تغيير النظام القائم لان ذلك ليس من مصلحتها ، والطبقة الثانية ، وهي الاكثرية الغالبة ، لم يكن لديها من الفرص ما يساعدها على التعلم والتثقف وابتداع الافكار الجديدة ، بل ان بقاءها على تلك الحالة من ضنك العيش طول السنين والعصور عودها على ان تقبل بما قسم لها وان تستسلم للامر الواقع . فالطبقة المتوسطة هذه تنظر الى من أعلى منها ، فلا تجد مجالا للحصول الى ما يتمتع به الاغنياء من النعيم والثراء والسلطة ، وتنظر الى من اسفل منها ، فتجد في حياة الفقراء الكادحين ما يزيدها نقمة على الاوضاع . فشدة الاحساس هذه بسوء حظ الفقراء من جهة والشعور بالخيبة وعدم نيل المراد من جهة اخرى تدفع الفهماء بين هاتين الطبقتين الى السعي الجاد لهدم تلك الاوضاع وتبديلها ، عن طريق ما يكتبه هؤلاء ويدعون اليه من افكار جديدة . واحسن مثال على هؤلاء الموسوعون الانسيكلوبيديست في فرنسا ، وماركس مع بلخانون وهرزن وتشرنيفسكي وغيرهم في روسيا . وأهم شيء يدفع هؤلاء الفهماء في نقمتهم وسخطهم هو انهم عاجزون عن نيل ما يريدون، وعدم نيلهم ما يريدون هو الذي يولد شعورا بالخيبة يحدث في نفوسهم مرارة وحقدا . فهم في الحقيقة مصابون بوسواس عصبي يحفزهم على مسلكهم المعادي للاوضاع الاجتماعية القائمة . ويكون هذا الوسواس العصبي عادة مصدرا لافكار فلسفية تجديدية وهذا هو الشأن مع معظم الفلاسفة المعروفين في العالم ، فانه يصح ان يقال بصورة عامة انه ما من فيلسوف ابتدع فكرة جديدة الا وكان في ابتداعه هذا تحت تأثير عوامل نفسانية مثيرة خاصة . وكثيرا ما كانت افكار الفهماء والفلاسفة ادوات استعملها الثوريون والانقلابيون في قلب الاوضاع القديمة وتأسيس اوضاع جديدة . فكانت تلك الافكار عبارة عن المخل او العتلة التي تستعمل لقلب كتلة من الصخر او الحديد او لازاحة شيء ثقيل . وهذه الكتلة هي الاوضاع القديمة التي يراد قلبها او ازاحتها . ولا يكون انقلاب او ثورة الا اذا وجد المخل اولا ووجدت الكتلة ثانيا .

ونجاح طبقة الفهماء في نشر بذور الثورة على الاوضاع القائمة يتوقف على امر مهم واحد : وهو تجمد هذه

زاد الشتاء

**

يا زهرتي ، والجرح لم يندمل ... هذا انا في فرحتي لم أزل
انا لياليناا .. على بؤسها ... هيهات ان تجرح فينا امل
فكفكفي دمعك .. لا تدمعي ... صوني مياه القلب ان تنهمل
لا تعبئي بالدهر .. لا تعبئي ... الراحة الكبرى لمن لم يسل
وذوبي عطرك .. في بسمة ... مثل صباح من صبانا .. ثمل
واسقي الزهور البيض يا فتنتي ... من خمرة .. كالحلم .. لم تكتمل
فربما تسكر .. من خمرنا ... وتملأ الكون بعطر الازل
وتبعث الفرحة .. في أعين ... بغير هذا اليأس لم تكتحل !

* * *

يا فتنتي .. والكون صفصافة ... الظل فيها والمنى والامل !
لا تحطمي كأسك لا تحطمي ... حبي به عطر الربيع الخضل
اليأس هل دانت له نحلة ... تبني خلاياها بأعلى الجبل !
وتجمع الازهار في كأسها ... من غير ادنى راحة او ملل !
حتى اذا الصيف مضى وانقضت ... أيامه المستعذبات القبل
وأقبل الاشتاء في حلة ... سوداء يعلوها الاسى والبلل
ألفتها تسعى الى عشها ... تحلم بالدفء وجني العسل !
تحيا به والامن نشوانة ... والريح تعوي عند سفح الجبل ! !
لا تعرف الجوع ولا رعشة ... لولا كفاح الصيف لم تحتمل !

* * *

يا زهرتي والبرد لن ينثني ... يحل كاللعنة او كالاجل ! !
ويومها تمضين مقرورة ... المعطف البالي عليك انسدل
تزودي فالبرد يرنو لنا ... والزاد خير الزاد هذا الامل

مصر الجديدة — **عبد المنعم عواد يوسف**

الاوضاع وثباتها وعدم تطورها . وهذا ما جرى في فرنسا وروسيا ، حتى ادى الامر الى الثورتين المعروفتين . وعدم حدوث ثورة من هذا النوع في بريطانيا يرجع الى ان المجتمع البريطاني يتطور دائما ولا يبقى على حالة جامدة واحدة ، ويجد الفهماء فيه مجالا واسعا للارتفاع الى طبقة اجتماعية عليا ، ويجد الفقراء والعمال فيه مجالا لتحسين حالهم .

والذي يهمنا في هذا المقال ، بعد هذه المقدمة ، هو ان نبحث في وجود طبقة الفهماء في البلاد العربية وعدمه وفي عمل هذه الطبقة ، اذا وجدت . وسأترك ذلك للمقال القادم ان شاء الله .

لندن — **حسن الكرمي**

دخل المدينة في هداة الليل ، غريبا تائها ، لا يعرف احدا ولا يعرفه احد. وكان اهل الحي القديم الـذي جرته قدماه اليه ، يوجسون خيفة من امره ، ويشفقون ان يكون معتوها او مجنونا ، يشكل خطرا على حياة اطفالهم وغلمانهم ، الذين كان تخوفهم منه يتبدى في تراكضهم من امامه مذعورين ، كلما سار الهوينا بين البيوتات المتناثرة ، ميمما وجهه شطر المسجد البعيد ، ينام في فنائه على حصير ، وفي اطلاقهم صيحاتهم الصبيانية المتباينة، التي يشتم منها محاولتهم اتقاء شر الغريب المجنون !

وما هو بمجنون .. بيد ان هيأته الرثة ، واسماله البالية المتآكلة ، التي تحسر عن بعض أجزاء في جسمه الضامر ، ونظراته الزائغة ، وبلاهته الشاردة كلها جميعا ادخلت في روع سكان الحي القديم ، ان هذا الغريب مجنون ، ينبغي اهماله ، وعدم التعرض له بأي سؤال

كانوا متحفظين معه ، حذرين منه ، فهم لا يعرفون من أين هو آت ، ويجهلون سبب اقامته بين ظهرانيهم، حتى ان « ابا محمود » مختار المحلة، لم يجرؤ ان يسأله عن اسمه او يمضي في استقصاء شأنه ، مثلما يفعل عادة مع من يستريب بهم ، وهمس لنفسه غير مبال :

ـ : من يدري ؟ لعله متسول شحاذ !

كان الغريب لا يفتأ يمعن في شروده ، ومع تقادم العهد عليه ، كان نفوره من نفسه ، وقرفه من الدنيا يزدادان قسوة في قلب الزمن !

ولو ان احداً شاء ان يرقبه عن كثب ، لالفاه سادرا في الافق البعيد، بعينين مصلوبتي النظرات ، ووجه مخطوف اللون ، كانما هو شاعر مدله ، ضيع محبوبته في ادغال الطبيعة ، او منجم هندي يقرأ الغيب للحيارى ، ويستطلع المجهول .

وكان رغم ما يكتنفه من ضباب الصمت والكآبة ، يرى الناس بعين الرضا الكليلة عن كل عيب ، المخفية لكل سوء ، اما عين السخط التي تبدي المساوىء ، فقد كانت عنده عمياء لا تبصر !

هتف به الحارس ، ذات ليلة ، قارسة ، غيومها داكنة حزينة ، والناس نيام ، وقد رآه يجوب الطرقات على غير هدى ، فامتثل الغريب للامر ، وتسمر في وقفته لا يبدي حراكا . وظل راسه مطرقا . وعيناه الذليلتان كانتا نصف مغمضتين.

اقبل الحارس عليه بخطى رتيبة ذات وقع ، يلوح بعصاه الغليظة في وجه الغريب ويسأله :

غريب في الجنة

بقلم عبد الله الشميتي

من جمعية الادباء العرب

ـ من انت .. ماذا تفعل الان ؟

ـ .....

وسحب الحارس نفسا طويلا من سيجارته المحتضرة ، وقد استهجن صمته وشرع يتفحصه بفضول من خلال ضوء مصباحه الصغير الذي سلطه عليه واردف :

ـ نحن نراك بيننا منذ مدة ، ولا يعرف احد عنك شيئا ؟ وراح يصرف الكلمات بلهجة حازمة :

ـ ما اسمك ؟ ماذا تفعل الساعة ؟ اعطني هويتك !

فتح الرجل الغريب فمه لاول مرة، وتقاطر الجواب كلمات مقتضبة مخنوقة ، تناثرت على شفتيه الراعشتين كما لو دبت فيهما حمى :



ـ انا بلا مأوى .. بلا اهل .. بلا هدف .. بلا هوية .. !

قال الحارس : اين تنام ؟

قال الغريب : في فناء المسجد الذي حذرني خادمه من غشيانه الليلة ، وقال لي : ابحث عن غير هذا المكان فهو للمصلين الاتقياء فقط !

صرخ الحارس مهتاجا وهو يلكزه بعصاه في صدره :

ـ اذن .. سوف امضي بك الى « المخفر » !

رد الغريب بهدوء : امض بي الى حيث شئت يا سيدي الحارس .. انت تعلم ان ضياعي هنا ليس خيرا من المكان الذي ستقودني اليه .. هيه .. قد اجد فيه مأوى وطعاما آكله ، فانا جائع كما ترى ابحث عن طعام ؟ !

ـ اي طعام ستجده في مثل هذه الساعة المتأخرة يا رجل ؟

ـ علي ان ابحث ولا اياس . انني لن اعدم العثور على القمامات والنفايات اجد فيها ضالتي !

وانتابته ضحكة عصبية ، وهو يصيخ بسمعه الى نباح كلب يتهادى من بعيد ، حادا متواصلا ممطوطا ، يعكر صفو الليل الكابي وهتف مشفقا:

ـ من يدري ؟ لعله مقرور وجائع مثلي يبحث عن طعام ؟

وراح يثرثر ، كما لو كان يهذي : الجوع كافر يا سيدي الحارس .. هل سبق لك ان جعت ؟ هل تعلم ما قالوه قديما ؟ .. قالوا لو كان الجوع رجلا لقتلوه .. ولوح بقبضته منفعلا : ومع هذا فانا اكره القتل .. ولا احب ان اقتل احدا .. !

زمجر الحارس غاضبا : ما معنى هذا الكلام ؟ انك تتكلم كالفلاسفة !

قال الغريب : الجوع والضياع والتشرد والحرمان .. كلها امور تعلمك الفلسفة .. وتدفعك الى ارتكاب كثير من الحماقات .. و .. وقاطعه الحارس محتدا :

ـ كفى ! انت مجنون ؟

ولان صوت الحارس ، عندما رأى

ان جسم الغريب يهتز كريشة في مهب الريح ، بفعل نوبة مفاجئة من السعال الحاد فبادره متأثرا :

— البرد قد اثر فيك .. احسب انك مريض على ما ارى ؟

رد الغريب من خلال سعاله المتقطع وعينيه الجاحظتين :

— لا اعرف اذا كنت مريضا او ميتا .. انا في هذه الحالة منذ سنين!

— حيرتني يا رجل .. انك لغز عجيب !

وارسل الغريب ضحكة متقطعة كالحشرجة المتهالكة :

— لست لغزا .. انني مثلك تماما . انسان مكتمل التكوين . لكن حظي في هذه الدنيا قليل . بل ليس لي حظ على الاطلاق . هل تعرف الحظ ؟

عيل صبر الحارس ، وهز راسه يائسا كمن غلب على امره ، واسقط في يده ، فدعاه الى كوخه الخشبي الصغير لتناول كاس من الشاي الساخن يدفىء صدره .

وعلى ضوء السراج الشاحب ، استطاع ان يستبين الحارس طلعة الغريب تماما . كان رجلا كهلا ذا جسم ناحل . وقد أعفى لحيته ، وحفر الزمن في وجهه قسمات مقرورة مكفهرة ، وترك رؤوس اصابع قدميه تطل من فجوات حذائه البالي ، وقدر له الحارس من العمر ، في سره ، ستين عاما او تزيد .. ولم يكن في تصرفاته ميل الى الحيلة او الشر .. كانت ملامحه المكتهلة بريئة هادئة كالمحبة !

رشف الغريب جرعة من الشاي الساخن ، ذي اللهب المتصاعد، وندت عن صدره آهة محتبسة قال في اثرها:

— انا يا سيدي غريب على باب الله .. انام في المساجد شتاء. وعلى اعتاب البنايات الكبيرة وفي الحدائق المنتشرة صيفا . وآكل ما اجده من فتات الموائد وبقايا الاطعمة اذا وجدت .. واشتهي رغيفا كاملا من الخبز ، وصحنا من الفول ..

سأله الحارس : اليس لك اهل او اقرباء ؟

قال الغريب : ليس لي من احد سوى الله الذي انا على بابه !

ثم تراقصت على شفتيه القلقتين نصف ابتسامة عصبية شاحبة واردف :

— ثق ان الله لم يتخل عني ابدا . فأنا لم امت مثلا حتى الان . على الرغم مما اصابني من جوع ومرض وحرمان .. وهو سبحانه ، ما زال يمد في عمري ، وما زالت في الحياة فسحة .

وانتابته سعلة خنقها في صدره ،



عبد الله الشيتي

حين قطع عليه الحارس استرساله :

— هل تحب الحياة ؟

قال الغريب :

— مثلما احب الموت . كلاهما عندي سواء !

قال الحارس : هل سبق لك ان اشتغلت ؟

واتسعت البسمة الذابلة على شفتي الغريب واغتصبها ضحكة راهنة : اشتغلت كثيرا يا سيدي . مارست البيع والشراء فخسرت وقالوا انها (التجارة) ملعونة هي . يوم لك ويوم عليك . والتحقت بعمل في ورشة ، تقتطع الحجارة من الجبل بالمياومة . فطردني رب العمل قبل ان ينتصف النهار ، بحجة انني عاجز لا اصلح . وقبلت احدى الاسر ان تستخدمني في قضاء شؤونها البيتية مقابل « اكلي وشربي » ولما كنت عاجزا لا نفع منه يرتجى ، فقد آثر افرادها ان يختصوني بكسرات الخبز الفائضة لديهم .. وكنت أشرب من ماء « الفيجة » وقالوا احمد ربك على هذه النعمة . فحمدته ولا زلت على حمده !

ثم هز راسه مثنى وثلاثا .. وراح يعتصر الكأس في يده بنزق وانفعال، كأنما يريد ان يسحقها !

ربت الحارس كتفه بحنو :

— لا بأس .. هون عليك ولا تيأس . وسلم امرك لله !

— ونعم بالله ! ..

كذلك قال الغريب واخذ يغلو :

— من انباك أنني يائس ؟ انني حزين فقط .. ان النفوس الحزينة يا سيدي لا يعزيها اكثر من مصادفة نفس اخرى في حزن اقسى وافجع ، ولا يريحها الا مرآى السواد!

انني قوي . لا زلت ذا جلد واقتدار واصطبار على تدبير كسرات الخبز اليابسة وبقايا الاطعمة ، والماء كثير .. كثير .. انه يتفجر من عيون كبيرة لا تنام .. ماء الشوارع ليس له ثمن .. مثلي تماما !

وتنهد من جديد ، فيما كان يزوي ما بين حاجبيه :

— : انه القدر يا سيدي . ان قدري كالتجارة التي مارستها . ملعونة هي . يوم لك ويوم عليك . اما انا فقد كانت الايام كلها علي . وكلها لغيري . ومع ذلك فهل املك الا الحمد ؟

تنفس الحارس الصعداء . هو ليس مجنونا كما توهم . انه ذو نفس كبيرة ولكنها غريبة ... صحيح ان اطواره عجيبة شاذة ، وفقره مدقع، ولكنه من اولئك الذين تعرفهم بسيماهم ، يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ، لا يسألون الناس الحافا ..

ودعه الحارس على امل اللقاء مشجعا .. وتمنى له الحظ والفلاح ، بعد ان دله على مسجد جديد، ونفحه قطعة فضية صغيرة من النقود ..

دس (الغريب) يديه الراعشتين في طيات ثوبه الذي حارت في امره الالوان .. وابتلعه ظلام الشارع الطويل، يرسم له الف صورة وصورة، تنداح في خاطره ، الزاهي منها والضاحك ، والقاتم والعابس ، وكلها صور حية كانت تهمس في اذنيه او تصرخ، وترقص امام عينيه ثم تتلوى!

* * *

استفاق اهل الحي القديم ، في صبيحة اليوم التالي على حقيقة المقيم الغريب ، وتبدلت نظرتهم اليه ، بعد ان كانوا قد ازوروا عنه ..

عرفوا من الحارس انه انسان طيب . هبط المدينة عن حسن نية . وانه لا يؤذي ولا يسرق ولا يضرب احدا . وعرفوا انه بائس هائم . يتسكع على ابواب الله . وانه بلا اهل . بلا هدف . بلا هوية . فانطلق الكبار منهم يحيونه، ويطيبون خاطره، ويتصدقون عليه ، فيرد تحاياهم بايماءات خفيفة من راسه ، ويعزف عن قبول الصدقات .. وانشأ الصغار يتحلقون حوله ، ويثرثرون معه ويلعبون .. وهو جالس بينهم يقص عليهم من حكايات الانس والجن والعفاريت وعرائس الليل ما يدخل المتعة الى قلوبهم الصغيرة ، ويطمئنهم الى جليسهم الكهل الطيب الذي يحب جميع الاطفال ..

سأله غلام يوما ببراءة ظاهرة :

ــ انت حزين دائما .. هل لك زوجة وبيت يا عمي ؟

اجاب الغريب بهزة من راسه علامة النفي !

وسأله اخر بعفوية : هل عندك أولاد .. ؟

قال الغريب باقتضاب : كلكم اولادي !

هتف ثالث فيهم وهو يقضم قطعة حلوى ويتلمظ :

ــ لماذا لا يكون لك بيت واولاد .. ؟ نحن سعداء يا عمي .. لا نحزن مثلك .. انت دائما مهموم تفكر .. لماذا ؟ نحن لنا اباء وامهات .. وعندنا بيوت وثياب جديدة .. انظر : هل يعجبك حذائي ؟

ويفزع نحوه غلام اكثر جراة معترضا : بل انظر . ان حذائي اجمل منه .. اليس كذلك يا عمي ؟

قال الغريب : ليتني في مثل سنكم . وياما لكم . وعندي ما عندكم !

ويرتفع صوت غلام من بين « الشلة » يبتهل بالدعاء :

ــ : ان شاء الله يا عمي .. ان شاء الله .. !

* * *

صار للغريب غرفة « ضيقة » يقيم فيها . جاءوا اليه بطعام رخيص وفراش بال . ونظم له «ابو محمود» المختار حملة من التبرعات البسيطة وهو يشفق ان يكون جهده ضائعا مع سوء الحال الذي آلت اليه صحة الغريب .

وحين لفظ الشتاء انفاسه الاخيرة، وادار ظهره لدنيا ربيع مبكر، ونسينت سماء الحي القديم ، كان المرض قد هد الغريب فأعياه ، وكان يغمغم لصديقه الحارس الذي يلازمه في اطراف النهار من حين الى حين :

ــ كنت اريد ان اشكرك .. ان أعرفك بنفسي تماما .. ان احكي لك حكاية هذه الدنيا الواسعة العجيبة . دنيا ضاقت بي فأضاعتني . دنيا لبست لنا ارادة في المجيء اليها او الخروج منها .

ويبدو ان الله لا يريد ان يتخلى عني . الم اقل لك يا صاحبي ؟ ان رحمته وسعت كل شيء؟ انه يدعوني اليه . يريدني . يريد روحي . انني عبده .. واختنق صوته في صدره وأردف بمنتهى الاعياء :

ــ واذا كان يهمك اسمي .. فان اسمي .. واطبق عينيه المتعبتين بهدوء . ومال رأسه المثقل بالنعاس فوق الوسادة .. ثم سكنت الحركة في اوصاله ومات اسمه على شفتيه المحمومتين مثلما عاش .. لا يدري به أحد . وخرجت روحه من الدنيا، مثلما دخلتها غريبة تائهة .

* * *

الله وحده كان يعلم حقيقة عبده واسمه وهويته .. ويعلم ما له وما عليه ..

نادته الملائكة : يا عبد الصبور بن آمنة !

رفع الغريب راسه .. وحملق بعينيه المذعورتين ، فبهرهما نور سماوي غريب ، اضفى على المرئيات العجيبة الآسرة من حوله رهبة خاشعة . قالت الملائكة : انك الان في ساعة الحساب . يا عبد الصبور أين كتابك ؟

ومد عبد الصبور كتابه بيمينه صامتا لا يريم ..

وقراته الملائكة : « عاش مكافحا صابرا . ومات مكافحا صابرا. وكان بارا بالناس كل الناس . لم يقتل لم يزن . لم يكذب . لم يسرق . لم يؤذ احدا . ولم يأكل رزق أحد. ولم يرد الاساءه بمثلها . ولم تأخذه العزة بالاثم . كالذين جرفهم حب الدنيا وحب الشهوات . كان طيب القلب . واسع الصدر . لم يصعر خده . وكان كثير الصبر .. كثير الاحتمال. وكان صالحا من عبادالله القانتين . . »!

ابتدره الملاك الذي على يمينه وهو يقوده :

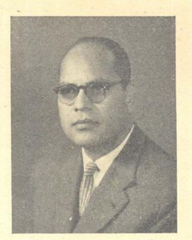
ــ انظر حواليك ، واهنأ بما انت فيه !

وقال الملاك الذي على باب الجنة :

ــ تمن على ربك يا عبد الصبور. ان الله يجيب دعوة الداعي اذا دعاه!

لم ينبس عبد الصبور ببنت شفة . وراح يفرك عينيه ملهوفا ، وملأ رئتيه بالنسيم العابق بالشذا الفواح ، واطرق يصغي الى حديث نفسه :

ــ ما اكرم السماء . ان اسمه يتردد هنا كثيرا . كاد ان ينساه وهو



ابو طالب زيـان

اللحن والسليقة أمران متعارضان

بقلم ابو طالب زيـان

عمرت كتب الادب بطائفة كبيرة من اللحن الذي شاع في ارجاء اللغة ، حتى كاد يكوق ندبة فيها ، لكن الذي لا يمكن ان يتصوره اللغوي الحديث ، ان ابن اللغة ، المتكلم بهـا ، يخطىء في لغته ، فكيف اذن يصور لنا القدماء ، ان بعض العرب كانوا يخطئون في لغتهم ؟ وكيف نتصور صحة هذه الروايات الكثيرة التي وقعت من العرب الذيـن اتصفوا بالفصاحة ، وعرفوا بالبلاغة ؟ . . .

الواقع : ان هذه الروايات التي تنسب الخطأ الى العرب، قد تضمنت كلمة أخرى هي : « اللحن » وهـذه الكلمة تعطينا نموذجا طيبا لتطور المعاني في الكلمات العربية . فاذا بحثنا عن معناها الاصلي وجدناه : الميل عن الطريق المألوف الى الطريق الشائك ، ومنه قد انحدرت كل المعاني الاخرى لكلمة « اللحن » .

على ان هذا « اللحن » قد جاء بعدة معان مما يشفع لهذه اللغة ، ويبرئها من مماحكة الرواة .

فاللحن قد جاء بمعنى « الفطن » في شعر لبيد ، وجاء في شعر جاهلي اخر : بمعنى السريع الالتفات ، السريع الميل . ومن هذا المعنى ، جاء معنى الفطن : اي الحـاد الذكاء ، لانه ميل عن الطريق المألوف .

وجاء اللحن بمعنى « الغناء » منحدرا من هذا المعنى ، لان الغناء لا يعدو ان يكون كلاما انحدر به المغني عن الطريق المألوف الشائع فأصبح غناء .

وعلى كل حال ، فقد ورد المعنيان : ـ اللحن بمعنـى : الفطن ، واللحن بمعنى : السريع الالتفات ، والسريع الميل . واللحن بمعنى : الغناء في شعر العرب ايام جاهليتهم ، غير ان هذه الكلمة قد تطورت في عصر النبي (صلعم) وبعده بقليل الى اللهجة الخاصة التي لا يعرفها الا القليل من الناس.

وقد وردت لنا قصة مشهورة ، تشتمـل على كلمة : اللحن بمعنى اللهجة الخاصة . وهذه القصة معروفة في كتب الادب بمسألة : المسك . وهي كما زعم الرواة : ان عيسى بن عمرو الثقفي ذهب الى ابي عمرو بن العلاء . وقال له : ما هذا الذي اسمعه عنك ؟ فقال : ماذا سمعت ؟ قال : بلغني انك تجيز : ليس الطـب الا المسك (بضم المسك) . فهز ابو عمرو راسه وقال له : نمت وقد اولج الناس ، ليس في الارض تميمي الا ويرفع الخبر ، وليس فيها قرشي الا وينصب . ثم اختار رجلين من تلاميذه هما : خلف بن الاحمر واليزيدي ، وامرهما بالذهاب الى رجل من قريش فوجداه يصلي ، فكررا ذلك القول ، فأنكر عليهما ما قالاه ، قائلا : اين الخبر . . . الخ ، ثم ذكرا القول بأساليب مختلفة حتى قالا له في النهاية : ليس ملاك الامر الا طاعة الله (بضم طاعة) . فنصب هو : طاعة فرفعا له : ففطن الرجل الى ذلك . وقال لهما : ليس ذلك لحني ولا لحن قومي .

وورد « اللحن » في القرآن الكريم بمعنى « اللهجة » في قوله تعالى : « ولتعرفنهم في لحن القول » . وورد اللحن في الحديث بمعنى اللهجة . فقد روى ان النبي : ارسل الى بني قريظة رسولين وقال لهما : ان اصبتماهم على هذا الامر ، فاعلنا ذلك للناس ، وان اصبتماهم على غير ذلك ، فالحنا لي لحنا اعرفه .

وقد جاء « اللحن » بمعنى « الخطأ » متأخرا على يـد علماء اللغة والنحو ، اذ لم يعرف في الجاهلية ولا في صدر الاسلام . ويمكن ان نرجع ذلك الى المعنى المألوف ، لان اللحن : هو الميل عن الشائع المعروف بين الناس ، وكذلك الخطأ لم يسم بذلك الا لانه انحراف عن المألوف بين الناس، وكذلك الصواب ، سمي بذلـك ، لانـه اتباع للمتعارف والشائع بين الناس .

فالصواب والخطأ امران اعتباريان ، ولذلـك كان من الممكن ان يتطور اللحن بمعنى الخطأ ، ويروى في شعر احد الامراء الامويين :

منطق صائـب وتلحن أحيانـا وخير الحديث ما كان لحنـا

على ان علماء اللغة قد اختلفوا في تفسير معنى «اللحن» في هذا البيت . فالجاحظ يفسره في اول حياته بالخطأ ، ويعقب على ذلك بقوله : لان العرب كانوا يستحسنون اللحن من النساء . لكن هذا التفسير قد اغضب علماء اللغة ، وذهبوا في تفسير هذه الكلمة مذاهب متعددة :

١ ـ اللحن بمعنى الغناء . فالكلام اللحن ما كان غناء .
٢ ـ اللحن : من كلمات الاضداد يؤدي معنى الصواب.

والمعنى هنا : وخير الحديث ما كان صوابا .

ولكن ليس هذا هو المعنى الذي يقصده الشاعر ، لانه لا يريد باللحن : المعنى العقلي المنطقي ، وانما يريد معنى شاعريا عاطفيا ، فهو يقصد باللحن هنا : الخطأ .

وقد كان من نتيجة هذه الثورة في معنى اللحن ، ان رجع الجاحظ في اخر حياته عن المعنى الاول . وقال : أن كلمة اللحن من كلمات الاضداد يراد بها الخطأ ، كما تراد بها الاضداد ، وذلك في كتابه : البيان والتبيين .

غير ان رايي بعد هذا التطور الخطير في كلمة اللحن ، واختلاف العلماء في تفسيرها ، ووقوع هذا اللحن من بعض فصحاء العرب ، ان اللغة العربية ، ليست لغة سليقة ، لان لغة السليقة لا يصح من صاحبها ان يلحن ، ولا يتصور منه اللحن . ودليلي على ذلك ظاهرة الاقواء في العصر الجاهلي ، وهي اختلاف حركة الروي في ابيات القصيدة الواحدة . والروي هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ومما هو متعارف عن الشعراء : اتحاد حركة الروي . فاذا بدىء بالروي مرفوعا ، وجب التزام الرفع في كل بيت من ابيات القصيدة ، ومع ذلك وقع بعض الشعراء في الجاهلية في الاقواء ، ولاسيما النابغة الذبياني وحسان بن ثابت وبشر بن ابي خازم .

فالنابغة يقول :

من آل مية رائح او مغتدي   عجلان ذا زاد وغير مزود

الى ان قال :

زعم البوارج ان رحلتنا غدا   وبذاك حدثنا الغراب الاسود

فتنبه لذلك اعداء النابغة ، وانتظروا حتى زار المدينة ، فدعوا له بجارية تغني ، وقالوا لها : تعمدي اظهار الرفع . فغنت قصيدة النابغة هذه حتى قالت : وبذاك حدثنا الغراب الاسودُ ، ففطن النابغة لذلك وغير البيت الى الصورة التالية :

زعم البوارج ان رحلتنا غدا   وبذاك تنعاب الغراب الاسود

اما حسان بن ثابت فيقول :

لا باس بالقوم من طول ومن قصر   جسم البغال واحلام العصافير
كانهم نصب جفت اسافله   مثقب نفخت فيه الاعاصير

وعندئذ نجد ان بعض اللغويين يغالي في ذلك ، ويزعم ان ظاهرة الاقواء قد وقعت بكثرة الى حد انها لم تكد تخل قصيدة جاهلية من هذا الاقواء كما يقول الفيروزبادي في القاموس المحيط .

وهناك روايات كثيرة لا سبيل الى حصرها ، تدل على وقوع الخطأ من العرب ، منها : ان عمر بن الخطاب ، مر بقوم يرمون بالسهام ، فلم يعجبه رميهم ، وابدى لهم بعض الملاحظات ، فقالوا له : كيف هذا ونحن قوم متعلمين ؟ ! فقال عمر : « والله ان خطأكم عندي لاسوأ من رميكم » .

وروي ان ابا موسى الاشعري ، طلب من كاتبه ان يكتب كتابا الى عمر بن الخطاب ، فغلط في هذا الكتاب غلطة . فأرسل عمر الى ابي موسى الاشعري يقول له : « اضرب كاتبك سوطا على هذه الغلطة » .

وأشهر الامثلة التي تروى عن اللحن تلك التي وقعت من بعض شعراء الاسلام فــي عصور الاحتجاج ، وهو الفرزدق الذي وقع في اللحن كثيرا مع انه كان يعرض شعره على عبد الله بن اسحاق النحوي الذي كان يعاصره .

ومن اللحن الذي وقع فيه الفرزدق :

عرفت باعشاش وما كدت تعرف   وانكرت من حدراء ما كنت تعرف

الى ان قال مخاطبا عبد الملك بن مروان :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع   من المال الا مسحتا او مخلف

فقال له النحوي : علام رفعت : مخلف . فقال : على ما يسوؤك وينوؤك ، علينا ان نقول ، وعليكم ان تؤولوا ..

ويقال : ان الفرزدق اغتاظ من عبد الله وهجاه بقوله :

اذا كان عبد الله مولى هجوته   ولكن عبد الله مولى مواليا

فقال له عبد الله : لقد اخطأت ايضا ، لانه كان عليك ان تقول : مولا موالا .

ومرة أخرى ، نجد الفرزدق يصف رحلة عبد الملك بن مروان الى الشام فيقول :

مستقبلين بلادالشام تضربنا بحاصب   من نديف القطن منثور
على عمائمنا تلقى وارحلنا   على زواحف تزجى مخها ديري

فقال له النحوي : ولم لا تقول : ان ريري صفة للزواحف ! ! !

هذه بعض امثلة ، اردت بضربها : التدليل على ان الصفة المشتركة النموذجية : اللغة الادبية التي نزل بها القرآن الكريم ، ونظم بها الشعر ، وخطب بها الخطباء ، لم تكن لغة سليقة لجميع العرب ، والا ما وقع هذا الخطأ في الجاهلية والاسلام .

القاهرة   **أبو طالب زيان**

البحيرة والزمن

•

ومر العمر يعبر دروب الزمن
وانا على ضفاف البحيرة اعبث بحبات الرمل
وارقب الافق في يقظة بليدة
حيث تتراكض السحب متلاهثة
تتعثر بين موجات الاثير

والعمر يعبر دروب الزمن
وصور تمر مضيئة زاهية وصور قاتمة تخبو
اعراس تزغرد ومآتم صامتة
مواكب الحياة الصاخبة تلوح معربدة من بعيد
بعيد على حافة الكون الكبير
ويقف العمر وقفة الزمن
لم يعد العمر يعبر الدروب

هامبورج   **علي حسن فدعق**

منها تربة الارض وبنت منها جسمك . وهذا لا يعني ان جسمك ليس آلة عجيبة ، بل انها لكذلك . بل انها اعجب آلة في الكون جميعا . قام بصنعها بديع السموات والارض، لا شريك له . وبارادته وقوته جعل هذه الالة تتحرك وتعمل وتسعى في الحياة سعيها .

اذن فجسمك وانت شيئان مختلفان تماما . وجسمك عبارة عن لاقط (جهاز استقبال) يسجل بعض اجزاء من الاذاعة العالمية للحياة والصحة والعقل .

فاذا ملأنا غرفة ما بمجموعة مختلفة من اجهزة الراديو وضبطناها جميعا على محطة تذيع قطعة موسيقية لاكبر فرقة موسيقية ، فاننا نحصل على نتائج مختلفة من اجهزة مختلفة . فالاجهزة الرخيصة المعيبة تقدم لنا النوتة الموسيقية بصورة مشوهة ، وتنقل لنا النغمات بصوت شائه بغيض وتفوت علينا لذة الاستماع لاحلى النغمات وارقى الاغنيات .

والاجهزة الاخرى التي تفوق الاولى بعض الشيء تنقل لنا ما نسمعه بصورة لا بأس بها أجود من سابقتها . اما الاجهزة الجيدة والفائقة في الجودة فانها تخرج لنا النغم كما هو ، منسابا في رقة ، وبصوت طبيعي ليس به من عيب . وتقدم لنا ما يذاع بأمانة ودقة حتى ليخيل الينا ان الفرقة الموسيقية ذاتها معنا في الغرفة .

وهذه الموسيقى التي نسمعها ليست في اجهزة الاستقبال ولكنها في محطة الاذاعة .

وهكذا الحال في جميع الاجسام البشرية . ينتفع بها ويستفاد منها عن طريق الاذاعة العالمية التي هي مبعث الحياة والذكاء . وهذه الاجسام البشرية تتجاوب مع الاذاعة في كثير من مختلف الدرجات . فصاحب الجسم الذي تنسجم نغماته مع الاذاعة العالمية يمتلك حكمة عميقة وعقلا ثاقبا وتبدو عليه امارات العالم بأشياء كثيرة لم يتعلمها قط . ويبت في الامور بسهولة ويسر وبطريقة طبيعية حتى يحصل على ما يريد وينال ما يشتهي . ويمتلىء صحة وعافية ، ويستميل اليه الناس جميعا ويجتذب اليه الاشياء التي تجلب له السعادة وتحقق له النجاح .

واذا ما هبطنا دركات السلم تاركين هذه النقطة العالية من الكمال والرفعة ، وتأملنا اولئك الذين تقل درجة الكمال في أجسامهم في الاستجابة الى الاذاعة العالمية لوجدنا الكثير والكثير جدا من صنوف الفاقة والعوز وعدم الرضى والمرض والاسى والحزن والكرب والهم ، حتى نصل الى اغوار اليأس والقنوط .

وارى من المناسب في هذا المقام ان اتحدث قليلا عن الخوف من الموت ، لان توافق النغم الملائم يرتكز على اتجاهات عقلية ، والخوف من اي نوع انما هو اتجاه عقلي هدام

ويجرنا الحديث الى القول بأن ليس هناك موت بالنسبة للانسان . فقد اكدنا من قبل ان جسمك يحتوي على قليل من العناصر الكيميائية الرخيصة البسيطة . وهذه العناصر ليست حية ، ولكنها ميتة شأنها شأن العناصر الكيميائية الموجودة في تربة الارض . اما الكيمياويات التي يحتويها جسدك فستعود في النهاية الى الاختلاط بمثيلاتها في الارض الباردة او تنساب معهافي التيارات الى اعماق البحر .

والعناصر الكيميائية التي بُني منها جسمك كانت موجودة في الثرى حينما كان الكون خاليا من اي اثر للحياة . وكانت ميتة وقتذاك ، ولا تزال الى اليوم ميتة لا حياة فيها . ولكن القوة الخالقة بجلالها وقدرتها اوجدت من هذه العناصر جهازا ليستجيب لها وينشر على الملأ ما أوتي من نعم وآلاء .

والحياة هنا انما هي في العقل العام وليست في المادة الميتة التي يستفاد منها . وهذا العقل هو الجوهر الفرد الذي وجد بكماله منذ وجد الانسان . وما القدرة على الابداع والخلق الا مظهر من مظاهر هذا العقل العام .

« واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون » (سورة الحجر آية ٢٨ : ٣٠) .

اما جسمك فهو اداة مؤقتة تخدم غرضك لمدة ما .. وهو ليس انت بأي حال .. فهو حتما الى الموت .. اما انت الحقيقي فشيء اخر . شيء لا حد لقدرته وقوته اذا افاض الله عليه من قدرته وقوته .. انت فيض من الله وقبس من روحه .. وانك لمظهر لمن يقول للشيء كن فيكون . اما كيانك ووجودك الحقيقي في دائرة الابدية فلا يحده حدود ولا يوقفه زمان .

وجسمك محدود بالزمان والمكان لبضع سنين وفي دائرة صغيرة ضيقة ، لان اصله ـ كما قلنا من مواد معدنية ميتة نبتت من الارض ، أمه الرؤم ، منها نشأ ، وعليها درج ، واليها يعود ..

ولكن انت الحقيقي لم تكن مركبا من هذه المادة المعدنية الميتة .. انت الحقيقي هو : نفسك ، وهو : روحك .. والروح خالدة لا تموت ولا يحدها زمان ولا مكان .. ولسوف تظل باقية ما بقيت الحياة على وجه الارض . لن تموت ، ولن تفنى الى أبد الابدين .

والحكمة كلها لك في حدود الدرجة التي يمكنك ان توفقها اليك . وحين تسير الى الامام قدما في طريقك الى الرقي والرفعة ستغدو شيئا فشيئا من الخالدين ..

الحكمة ، لا تقاس بمقياس .. لانها تفوق الحصير ..
والوقت لا يحد بحد ، لانه ليست له نهاية ..
والحياة باقية لن تنتهي ، دائمة ليس لها زوال ..
وكذلك انت .. انت أيها الانسان العجيب ..

الاسكندرية — **عبد العزيز جادو**

الجنس الجائر

بقلم نينا فيرويل — ترجمة مبارك ابراهيم

THE UNFAIR SEX BY NINA FAREWELL

* * *

تنظر المراة الشابة من الاوساط فترى نفسها تقتحم العالم لتواجه خصمها « الرجل » وهي غير مسلحة تسليحا كافيا . وكثيرا ما تجد نفسها في موقف تتساءل فيه ماذا تقول : وكيف تسلك وماذا تأمل ؟ وهي في سني تعليمها الاجباري تتعلم شيئا من علم الاحياء . وهذا الشيء تعرفه معرفة مجردة . وهي معرفة تقوم على وجهة نظر فصول الدرس . ولكنها لا تعرف شيئا عن المشكلات التي تواجهها مواجهة عملية . وهي المشكلات التي تعرض لها كلما خاضت معركة من المعارك وكان خصمها الرجل ...

والناس يبتسمون ابتسامات سداها ولحمتها التسامح كلما سمعوا بما يدور بين الرجال والنساء من مصاولات ومواثبات وهم يحسبون ان تلك المصاولات والمواثبات تتميز بطابع المرح وانها كلها بريئة كل البراءة .

والحق ان هناك شيئا يبعث الدفء في القلب كلما خطر ببالنا ان في انحاء العالم كله وفي كل ساعة من ساعات الليل والنهار نجد الرجال والنساء يبحث كل فرد منهم عن صاحبه . وكلهم يقودهم شوق شديد ليلتقوا ولتقوم بينهم عرى المودة .

ولكن على المرء ان يعرف ــ والاسى يملأ جوانحه ــ ان هناك بين الجنسين خلافا جوهريا يخفى على الناظر لاول وهلة . وهذا الخلاف هو ان لكل واحد من الجنسين هدفا يختلف كل الاختلاف عن هدف صاحبه . فالانثى تتلهف على بذر بذور الصداقة مع الرجل لاسباب تستأهل الثناء . واول هذه الاسباب ان تظفر بزوج . وثانيها هو ان ليس هناك عمل من الاعمال يمكن ان تقضيه المراة في غير حماية الرجل ورعايته .

اما الرجل فلا يعنى بصحبة المراة من اجل مجرد الاستمتاع بحديثها او للرقص معها او لتكون مرافقة له في النزهات او حتى من اجل الزواج . وانما يعنى بصحبتها لاسباب اخرى يسرها ويخفيها .

ومن ثم يصبح لدينا شيعتان كل لها ميولها واهدافها . ولكنهما مرتبطتان بروابط لا تنفصم . وتحفزهما الى التداني حوافز حتمية . وعلى هذا كان وقوع العراك بين الشيعتين امرا مقضيا .

ويزداد العراك شدة بسبب تفوق الرجل من حيث المعرفة ومن حيث الوسائل التي تجافي نزاهة القصد ...

وهذا الاتهام لا يلقى جزافا ولكنه اتهام تبرهن على صحته الوقائع . ولم اقصد بكتابي هذا ان اثير الموضوعات الجدلية . ولذلك فقد حذفت منه كل اشارة الى الحب . ذلك لان الحب قد اختلف الناس في تعريفه اختلافا بينا . وان كان هناك شيء واحد متفق عليه بالاجماع عند الباحثين في الحب فهو ان الفتاة التي تقع تحت طائلة الحب او التي تظن نفسها انها واقعة في حبائله انما هي فتاة مجنونة . والفتاة التي تسعى الى نيل سعادتها يجب ان تتجنب ذلك الشرود العاطفي كما تتجنب وباء الطاعون.

واذا كان بعض الاراء التي يضمها هذا الكتاب تبدو غير منطقية او اذا ناقض فصل من فصول الكتاب فصلا اخر فليذكر القارىء ان مؤلفة الكتاب انما تنتمي الى ذلك الجنس الذي اشتهر بأنه لا يعرف الاستقرار .

وفضلا عن ذلك فان الحياة ذاتها مليئة بالمتناقضات . ولا توجه ايها القارىء السؤال بقولك : هل هذا منطقي ؟ بل سل : هل هذا حقيقي ؟

وبعد فما الذي يطلبه رجل من الرجال ولماذا يطلب ما يطلب ؟ وما الذي يدفع برجل لا شك في نزاهة قصده ان يكذب وان يدبر المكايد وان يلجأ الى الخديعة والحيلة ليظفر بثقة المراة ؟ وما هي الحوافز التي تحفز الرجل الى سلوك هذه السبل دون هوادة ودون ان يشفق من النيل من احترام ذات المراة ؟

الجواب عن هذه الاسئلة اذكر الستة عشر نوعا من انواع اللذة ــ مرتبة بحسب اهميتها ــ التي تدفع بالرجل الى سلوك ما يسلك من سبل :

(١) لذة التملك : الرجل يسعى دائما وراء التملك . وهو يحب ما يملك . فهو يحب سيارته مثلا . وقد تكون هذه السيارة ليست من الطراز الذي يفضله ولكنها على اية حال تبلغه مأمنه . ومهما يكن من شيء فان الرجل يحس بالزهو اذا ملك سيارتين او ثلاث سيارات ...

(٢) لذة الانتقام : لما كان الرجل قد بقي خاضعا للمراة ايام طفولته ؛ ولما كان يعرف انه سوف يكون مستعبدا للمراة عند الزواج فهو يطرب الطرب كله اذا اتيحت له الفرصة لاذلال المراة بالوسيلة التي تتاح له ...

(٣) لذة الفوز : يجد الرجل ما يرضي غروره اذا غلب خصمه . سواء اكان ذلك الغلب في لعبة الداما ام في ميدان « التنس » . وهو في كل ميدان يبذل اقصى الجهد للانتصار على منافسه . وهو في مصاولته للمراة قد يكتفي بما يذكره بالغلبة كما يكتفي صياد الظباء برأس الظبية او بجلدها اثباتا لانتصاراته ...

(٤) لذة التثبت من رجولته : في هذا العالم المليء بالتشوش والشكوك يحس كثيرون من الرجال بالحاجة الى التثبت من انهم رجال مكتملوا الرجولة ...

(٥) حب التشدق والثرثرة : من ابعث البواعث على رضاء الرجل عن نفسه هو استمتاعه بأن يقص على الرجال

الاخرين قصص غزواته وانتصاراته ثم يظل بعد ذلك يجتر ما يكسبه من ثناء واعجاب ...

(٦) لذة انتهاك الحرمات : ان ما ركب في طبيعة الرجل من تناقض يدفعه الى ان يتحدى اوامر المنع . فاذا قرا لافتة كتب عليها : ابتعد ! اقترب ولم يبال ... واذا راى بيتا كتب على بابه : « الدخول ممنوع » ! اقتحم الباب ودخل قبل ان يستانس او يستاذن ...

(٧) لذة مماشاة القطيع : ليس في الناس رجل يريد ان يخالف عن مالوف الرجال الاخرين . فهو يطارد النساء كمظهر من مظاهر السلوك اللائق بالرجال . حتى ليقول الرجال في احاديثهم اذا تحدثوا في موضوع من الموضوعات: ان هذا العمل تقتضيه الرجولة . وهو يظن انه بسلوكه هذا السلوك يصبح فتى الفتيان ...

(٨) لذة احياء الذاتية : اذا ظفر الرجل بامراة كثر طلاب موردها العذب ارتفعت قيمة نفسه في عينيه واصبح كانه ظفر بزعامة طبقة من الطبقات او كسب عضوية ناد لا يباح دخوله الا لاعضائه المقيدين في سجلاته ...

(٩) لذة السرقة : ان هناك لذة لا تعدلها لذة اذا استطاع رجل من الرجال ان يسرق امراة من واحد من اصحابه او من واحد من اعاديه . ذلك لان سرقة امراة تشبع فيه غريزة الذكورة البدائية التي كانت تعتمد على السبي ...

(١٠) لذة اشباع الغريزة الجنسية : وهذه حالة من حالات الغريزة وهي ابسط اشكال اللذة ...

(١١) لذة الحصول على شيء في مقابل لا شيء : ليس يستطيع رجل من الرجال ـ السخي منهم والشحيح ان يقاوم ما يحس به من لذة في الحصول على شيء من الاشياء بغير ثمن ...

(١٢) لذة المعاوضة : الرجل الذي لم يلق نجاحا في اي ميدان من الميادين يلذه جدا ان يجد العوض في انتصاراته على النساء ...

(١٣) لذة الهرب : ان الرجل يجد في المراة احسن المخدرات تسكينا للالم . فهو ينسى بين ذراعيها كل همومه واحزانه ...

(١٤) لذة الارتياد : انها تسلية جد لذيذة ان يفك الرجل الحسبى عن رزمة احيطت بكثير من الاربطة . وذلك ليرى ما في داخل تلك الرزمة . وفي كل رزمة جديدة يامل الرجل ان يرى شيئا جديدا ...

(١٥) لذة التدمير : ان فتاة تزدهي بعزتها وتزهي بكبريائهاومنعتها تملأ قلبالرجل رغبة ـ لا يمكن تفسيرها ـ في ان يهبط بها من صياصيها وان ينزلها عن جوادها ليراها امامه وقد انتكث شعرها وانتشر وشاحها ...

(١٦) لذة القيام بدور تمثيلي : كل لون من الوان البراعة والقدرة سواء أكان فطريا أم مكتسبا يملأ نفس الرجل اعجابا وتيها ويبعث في نفسه الرغبة في اظهار تلك البراعة ...

وبعد فان الرجال يعرفون حق المعرفة ان سلوكهم الذي وصفنا هو سلوك يبعث على تحقيرهم وازدرائهم . وهم في محاولاتهم تبرئة انفسهم يلجأون الى الوان من الاتهامات التافهة يوجهونها الى المراة . فهم يزعمون :

(اولا) : ان النساء مجبولات على الدهاء مفطورات على المكر فهن يبدين من ضروب الصداقة المزجاة والاعجاب المتكلف والود المصطنع ما يتخذونه فخا يحتبلن به الرجال ليتزوجن بهم على غير رغبة منهم ...

(ثانيا) : ان النساء غير وفيات فهن يدعين انهن يحببن الرجل من اجل شخصه . والواقع انهن يحببنه من اجل ما يتيحه لهن من متع ولذائذ ...

(ثالثا) : ان النساء غير بعيدات الغور فهن يدفعن الرجال الى اللحاق بهن ليرضين بذلك غرورهن وللتفاخر امام النساء الاخريات ...

والرجل وقد وضع نصب عينيه هذه الاتهامات ضد المراة قد وضع خططه الدفاعية والهجومية كما يلي :

(١) ضد الزواج : اذا بلغ الفتى مبلغ الرجال اصبح مقتنعا كل الاقتناع ان كل النساء يسعين سعيهن للظفر به فاذا ابتسمت له امراة فسرعان ما يتهمها بأنها تريد الزواج منه مهما تكن تلك المراة جميلة او ذكية او غنية او اعلى منه قدرا في كل ناحية من النواحي ...

والحق ان الرجل ـ وهو ذلك الحيوان الذكي ـ قلما يقع في الفخ ما لم يرد هو الوقوع في الفخ . ومن حسن الطالع ان هناك لحظة من اللحظات في حياة كل رجل من الرجال تقريبا ترجح فيها كفة الزواج كفة الاستمتاع بالحرية والانطلاق . وتلك اللحظة هي التي يستخذي فيها الرجل ويستسلم للاسر .

ولكن الرجل اذ يخشى ان تجيء فتاة ذكية فتغلبه على امره قبل ان يعد للامر عدته . فهو يلقى كل فتاة وفي خاطره فكرة تقول له انها ستتعشى به ان لم يتغد هو بها ... والذي اود ان اقوله ـ وقد بلغت هذه المرحلة من البحث ـ ان مثل ذلك الرجل ليس رجلا قاسي القلب ولا محبا للانتقام ولكنه رجل يقظ غير غافل ...

وقد لوحظ ان الرجل شديد التحرز في المسائل الآتية :

(١) المساومة والمماكسة : من الرجال ـ وهم لحسن الحظ قليلون ـ من يسير على قاعدة لا يبغي عنها حولا . وهي ان لا يبذل من المال شيئا قل او كثر . ودستور الايمان عنده هو : احتفظ بكل درهم من دراهمك . وخذ كل ما تستطيع اخذه . واطلب المزيد دائما ...

ولكن هذه التهمة لا يمكن اسنادها الى الكثرة من الرجال. وانما الثابت الذي لا شك فيه ان الرجل ـ في الاغلب الاعم ـ انما مثله مثل تاجر قريب عهد بالتجارة يحاول ان يحصل على اكبر مقدار من الربح على ان لا يبذل من وقته وماله الا القليل الاقل ... والرجل في صحبته للمراة يقسم مصروفه تقسيما منظما . فلحفلات العشاء نصيب.

ولحفلات السينما نصيب ولزيارات دكاكين الحلوى نصيب. وكل هذا مقيس على قد التقدم الذي يبلغه في سبيل بلوغ الهدف.

وهو لا يدفعه الى هذا التقتير شحه وبخله ولكنه الحرص على ان لا تخدعه المراة عن ماله. وكذلك يدفعه الى هذا التقتير ذلك الوهم السائد عند الرجال بأن النساء لا يجدن من الرجال بدا. ولا بدع في ذلك فالرجل لازم كل اللزوم المراة. وليس في الوجود امراة تستطيع أن تعيش بغير رجل. وهناك اماكن لا تستطيع المراة غشيانها في غير صحبة الرجل ورعايته.. وذلك اما بحكم القانون العام واما بحكم قوانين المجتمع... وحتى في المناسبات العادية فانه اشرف للمراة وأليق بها واكرم لها ان تكون في صحبة رجل حسن السمعة والمظهر.

وهناك مسألة الكرامة فان المراة التي تغشى الاسواق في غير حماية راع يحوطها ويذود عنها تبدو غير موفورة الكرامة لدى الرجال بل لدى النساء بل لدى اهلها بل لدى نفسها هي...

وان النساء ليحمدن الله على ان منهن عددا غير قليل يستطعن ان يتحدين الرجال ويصمدن لتهديدهم بالصد عنهن والزهد فيهن. ولولا هذه الفئة من النساء لكان النساء كلهن في قبضة الرجال وتحت رحمة اهوائهم.

ومما يبعث الاسى ان من النساء من يضعفن ـ بحكم انانيتهن ـ فيخضعن بالقول فيطمع الرجال الذين في قلوبهم مرض. ثم يقبلن صاغرات ما يفرضه الرجال عليهن من الشروط الجائرة غير المعقولة. فاذا انتشر هذا الضعف راى الرجال انفسهم غير ملزمين بالتقيد بقيود الزواج. وانه لحلم من احلامي. وهو حلم ارجو ان يتحقق وذلك ان ارى بنات جنسي يتحدن فيصبحن يدا واحدة. بل يصبحن جبهة لا يستطيع الرجال اقتحامها، فيضطر الرجال ان يرجعوا عن غيهم وان يحسنوا معاملة النساء.

والى ان يحين ذلك اليوم فان على كل واحدة من النساء ان تكسب معاركها الفردية بكل ما اعدت من قوة ولتذكر كل واحدة الشروط الستة عشر التي اسلفت القول عنها وان لا تنساها عند احتدام العراك.

(٢) البدء بالمناجزة: مما لا خفاء به ان النساء في حاجة الى خطة دفاعية قد أجيد حبكها. والخطة الحربية التي تقول «ان الهجوم القوي هو احسن خطة من خطط الدفاع» ليست بالخطة الصالحة في هذا النوع من الحروب. والنصر الكامل في معركة الرجال والنساء واعني بالنصر الكامل «الزواج» مكفول لمن يحسن البدء بالمناجزة ولمن تحسن المقاومة السلبية.

فما هي الصفات التي يجب ان تتحلى بها المراة لتلفت انظار الرجال اليها؟ تلك الصفات هي: التواضع. والطيبة. والتلطف. والسخاء. والالمعية. وسلوك سبيل التعمية. ثم الاشفاق. واني لمتحدثة عن كل صفة:

التواضع: يجب على الفتاة او المراة ان تتحلى بالتواضع في كل عمل تعمله فلا تسرف في اظهار ذكائها او نجاحها او براعتها في الالعاب. وعليها ان لا ترفع صوتها فوق صوت الرجل، وان لا تكون نهمة في المأكل او ان تتبذل في الملبس. كما عليها ان لا تبالغ في اظهار زينتها، فلا تلبس الملابس القصيرة ما لم تكن جميلة الساقين، ولا تكشف عن صدرها ما لم تكن بارزة النهدين، ولا تلبس اكماما قصيرة اذا كان ذراعاها غير جميلتين. وفي الجملة يجب عليها ان تخفي معايبها. وان تبدي محاسنها. وهذا هو التواضع الحقيقي الواجب التخلق به عند النساء.

الطيبة: ومما يحبب المراة الى الرجل ان تكون حسنة الخلق وان تكون طيبة الرائحة. وهناك رائحتان يحبهما الرجل هما: رائحة الطعام ورائحة العطر. وليس مما يزين المراة في عيني الرجل أن يتسم منها دائما رائحة المطبخ ولكن يزينها ان تتزين وان تتعطر. وعلى المراة ان لا تغادر بيتها حتى الى دكان البدال قبل ان تتعطر فليست تعرف من من الرجال سوف تلقى...

وعلى المراة ان تتزين فوق ذلك بالخلق الطيب. وعليها ان لا تحاول ان تأتي بعمل من الاعمال هي لا تحسنه فلا تسبح ان لم تكن تجيد السباحة ولا تلعب لعبة من العاب الرياضة ما لم تكن خفيفة رشيقة. ولا ترقص ولا تأكل ولا تطبخ ما لم تتحلى بالرقة والظرف وبالنشاط وبالحماسة.

التلطف: ان التلطف الذي تبديه المراة ينفذ الى قلب الرجل ويجعله مفتونا بها...

السخاء: كوني سخية بأن تبذلي للرجل بعض المنح الصغيرة فانت لا تستطيعين ان تبعثي في الرجل الاهتمام بامرك ما لم يبد منك الدليل على حسن التفاتك نحوه...

الذكاء والالمعية: انه ليس بين المخلوقات من لا يتزين لانثاه غير الرجل. اما والعرف الاجتماعي يحظر عليه ان يتزين فلا اقل من ان يشبع رغبة التزين عنده بأن يتخذ زينة المراة بديلا من زينته. فعلى المراة ان تتخذ في هذا السبيل كل وسيلة يقودها اليها ذكاؤها.

والرجال يقولون انهم يحبون المراة التي تبدو في حسن غير محبوب. والواقع انهم يعنون بهذا القول زوجاتهم وحدهن. وهم يريدون بذلك ان تكون زوجاتهم بمأمن من تطلع المتطلعين من الرجال...

الاغراء: على المراة ان توائم بين شخصيتها وشخصية الرجل وان تلائم بين سلوكها وبين ما توحيه المناسبة وتفرضه الظروف فتكون متفتحة حينا. وساذجة حينا اخر. وان تمثل دور المراة المهجورة تارة وان تكون نزيهة القصد تارة اخرى. وفي الجملة ان تلبس لكل حالة لبوسها وان تكون كل امراة ما عدا نفسها... اقول لك هذا القول ولك ان تجربي! ولا تخشين شيئا بل مثلي دور المراة التي يريدك العالم على ان تكونيها...

التعمية: لا تتيحي للرجل ان يعرف الشيء الكثير عنك

لم يكن من بين عادات دون فيسنتي ، عادة العطف او الاحسان الى المحتاجين ، ولم يكن يحس ابدا بعاطفة الكرم نحو احد .

وهو لذلك عندما عرف ان خادم الاسرة العجوز يموت وحده مهجورا، وكأنه كلب فوق زكيبة بالية محشوة بالقش ، عزم على ان يذهب ليراه . وفي تلك الساعة فقط فكر في ان يحمل له شيئا ما. وتواردت الخواطر الى ذهنه .

ماذا كنت تحتاج لو كنت تعاني مثل حالته ؟ وماذا كنت ترغب حينذاك ؟

— لو كنت على حافة الموت ربما فكرت من ان ارتشف بعض الجرعات من النبيذ .

ولم يكن العجوز يحتاج ابدا وهو في معاناته هذه الى ان يشرب نبيذا .

لقد كان يعاني من ظمأ قاتل الصق لسانه بسقف حلقه وشقق شفتيه الجافتين . وكان طبيعيا وهو في هذه الحالة من الظمأ ان يصد السيد فيسنتي ، بتلك الزجاجة التي انحنى بها امام ناظريه .

وصاح فيه العجوز اني اريد ماء — ماء لا اريد نبيذا .

وتلفت دون فيسنتي حوله فلمح بالقرب من منامة العجوز ابريقا مغطى بطبقة من الذباب الظمآن فتحسسه سريعا فوجده فارغا . وحمله دون فيسنتي وخرج كي يسأل بعض الجيران قليلا من الماء ، لاعنا هذا وذاك ، وسابا اولئك وهؤلاء جميعا لانهم لم يعتنوا بالمحتضر وهجروه هكذا بازدراء ليموت وحده ، حتى ان سيدة تعرفه جيدا ردت عليه قائلة

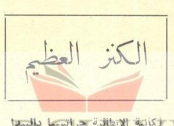
— ولم لم تعتن به فخامتك قبل هذا اليوم ثم اعطته الماء باباء وهي تقول . انت تعرف جيدا ان الماء شحيح هذا الصيف ، واننا نعاني من ذلك ؟

— انا لم اعرف انه يعاني من تلك الحالة الا اليوم . وحالما عرفت ، حضرت اليه توا احمل النبيذ لا الماء.

— وانا التي احمل له الماء والطعام منذ شهر ، برغم ما اعاني من فقر ومغبة — لم اعلن على احد اني حملت له ثمة شيء .

وبهت السيد لحظة ثم انفجر في المرأة ، التي انكرته في كل شيء . والتي عبرت عن كل مشاعرها، بازدراء ذلك السيد الاقطاعي قائلة — لقد بدا دون فيسنتي يساعد المحتضر .

وكان دون فيسنتي فاجرا لا يعرف ابدا الرحمة ، ويأخذ كل شيء بتجهم، انه عنيد بارد . ومليء بالغطرسة ولم يكن ذلك دخيلا عليه ، فقد ورث ذلك عن افراد اسرته الاقطاعيين المشهورين في كل الاقليم ، حتى لقد كان مشهورا



الكنز العظيم

للكاتبة الايطالية جراتسيا داليدا
ترجمة السيد فرج

عن ابيه انه لم يضحك حتى شاع بين اهل الاقليم انه عندما مات ، وذهب الى الجحيم ، وجاءت زبانية الجحيم تعذبه وتقلبه بحذر قال لهم بعجرفة :

— أوه واحدة واحدة ، أوكفى دعابة .

وكان المحتضر يعرف جيدا سيده القديم ، كما يعرف جيدا سيده الجديد دون فيسنتي .

وكان يعرف جيدا اي شيء يريد السيد فيسنتي بهذا الاحسان الذي يقدمه للعجوز المحتضر . ومن جهة اخرى لم يكن يعرف ان دون فيسنتي، سيتنازل يوما عن كبريائه فيساعد مستجديا ويعرف غريزيا ان دون



فيسنتي لا يقدم خيرا لاحد الا اذا كان يريد من ورائه شيئا .

كان العجوز يعاني من الظمأ القاتل، وقد تسربل بالاسمال البالية ، ينام على زكيبة بالية محشوة بالقش ، لذلك فقد بدأ جسمه يأش ويخرج روائح كريهة وكأنه ميت منذ ثمانية ايام .

ودون فيسنتي بالرغم من الشحم الذي اكتنز به جسمه ، فقد انحنى عليه ينظفه ويغير له اسماله بقميص جيد ، وزكيبته المحشوة بالقش بمرتبة متينة كالتي ينام عليها الاغنياء. عليها وسادة تبعث على الراحة والسرور . ثم اخذ ينظف المكان حوله باهتمام ورعاية ، ويطارد الذباب الذي تساقط فوق المريض وعلق به كالخفافيش . ثم انحنى مرة اخرى ليسقي المحتضر .

وصاح المريض اريد ماء ، اريد ماء، اني لا اطلب شيئا اخر ، ثم اخذ يهذي مرددا اسم نافورة تعتلي الجبال ، تنبع بالماء الزلال المنعش ، وانه حاول ان يضع فمه عليها بكل قواه ويشرب منها ، ولكنه لم ينجح في ذلك .

وكان الماء الذي قدمه له دون فيسنتي ثقيلا وحارا ، لم يفعل شيئا اكثر من ان يجفف حلقه ويشقق شفتيه . واكثر من ذلك كانت تزيد من آلامه العميقة التي تثقل كرشه المنتفخ . لقد رغب في الموت حتى يستريح من هذه الالام القاسية .

وانتشر الخبر كالبرق — وكان مما يدعو للغرابة — ان دون فيسنتي يساعد العجوز المحتضر حتى ان بعض الفضوليين دفعهم حب الاستطلاع الى رؤية ذلك الدون فيسنتي الذي زار هذا العجوز البائس وقد حمل بعض الاحسان له .

وكم اثارت هذه الزيارات دون فيسنتي وازعجته ، ففي احدى الامسيات، ذهب احد اقارب العجوز، ليبحث عن الدافع الذي دفع دون فيسنتي الى فعل هذا الخير . وكان

يحمل معه منديلا قد لوثه الدم وبه ذيل حيوان مسلوخ ، وبعض السجق المصنوع من امعاء الخروف وكان الرجل مخمورا ثملا ، ولا يعرف جيدا — على اية حال — ماذا يفعل دون فيسنتي ولكنه نظر اليه بازدراء . ورد دون فيسنتي على نظراته تلك ثائرا .

— الا ترى انه يحتاج الى دواء اكثر من هذا الذيل الكريه الرائحة ؟ الا تفهم ماذا يجب أن تفعل اكثر من ذلك . لو كان الامر بيدي لشنقتك به .

وصاح به الرجل دون ان يذكر كلمة سيد « اوه فيسنتي ايها الذليل الخالد » .

وذهب الدم من وجه دون فيسنتي من شدة الغضب ، ولكنه سريعا ما عاد الى غطرسته وكبريائه .

— ماذا تريد ان تقول بكلماتك هذه .

— اريد ان اقول الذي يعرفه كل الناس في هذه البلد . نعم انهم يعرفون لماذا انت هنا على وجه التحديد انه يعرف ذلك هو ايضا ، نعم ان المريض المحتضر هو ايضا يعرف لماذا انت هنا . انه يعرف انك لم تحضر الى هنا كي تساعده من اجل الله والخير . ولكن لتخطف السر العظيم الذي دفنه ابوك ، انك تعتقد انه يعرف سر الجرة التي اخفاها ابوك بنقودها في محضره . بنقودها التي لم يبغ والدك ان يتركها لك لانه كان يكرهك . لقد كان محقا في ذلك . . لقد كان عنده حق بكل تأكيد . .

وضحك دون فيسنتي في ذهول ، يحيطه خوف داخلي من ازدراء هذا الثمل له .

— ولكن لماذا لم يشأ والدى ان يترك النقود لي ؟

وثار الثمل واخذ يصيح . . . .

— اغرب من وجهي — اغرب من وجهي . لقد كان لوالدك الحق في ذلك وفي ان يكرهك ، لانك كنت تسيء معاملته ، ولانك وغد وعمل خيرا في ان ينفق كل ما يملكه قبل أن يموت . وجعلك وحدك في وهم هذا الكنز . لقد تركك وحدك في وهم الجرة .

فقال دون فيسنتي ضاحكا بمرارة .

— انه سيموت بين البق ، كما ستموت انت .

ولكن عندما رحل قريب المحتضر، بوجهه المغطى بالذباب ، بدأ وجهه يحمر ويسود .

وسأل العجوز :

— هل سمعت . وانحنى بمنديله، وذب به الذباب من على وجهه ، ثم بعد ذلك لم يحر جوابا ، وبهذا الوجه ذي العينين المسبلتين وبشفتيه البيضاوتين بدت سماته كسمات الموتى ثم تابع كلامه متهالكا .

— أعرفت ان الجميع يعرفون ذلك ؟ هل رأيت ان ابي كان يكرهني ولكن ما السبب الذي جعلك تكرهني انت الاخر ، أي سوء قدمته اليك ، ان في استطاعتي ارغامك على الكلام، ومع ذلك فسأتركك لهدوئك ، ولكنه اردف هامسا وكأنه يحدث نفسه — لم اكن محتاجا، ولم اكن نبيلا . ولكني الان اصبحت كهلا ، قد اثقلني البؤس وناء علي بكلكله وكل الناس تزدريني وتحتقرني . لاني اصبحت فقيرا ان الكل يكرهونني ، كما كنت اكرهه ، انك الان امام الله وتستطيع ان تطلب لي الرحمة منه ، قل لي بربك أين الجرة ؟ اين النقود ، قبل ان تموت . لقد اعطاك ابي سرها بكل تأكيد . ولكن قل لي ما الذي جعله يبيع الارض والمنزل . أين وضع النقود ، انك تعرف كل شيء ويجب ان تقول لي السر .

وتكلم العجوز في مشقة .

اسقني اولا ، وعندما اروي ظمئي ربما وجدت القدرة على الكلام ، اذا لم تذهب يا دون فيسنتي فستفقد الوقت ، ان الجرة غير موجودة بالمرة، وان والدك باع الارض والمنازل وانفق النقود حبا في الخير ، وكي يسدد ديونه ، وتركك فقيرا ، نعم ولكنه شريف — اذا لم تذهب اذا لم تذهب .

ولم يستطع العجوز ان يكمل كلامه وسقطت راسه من على الوسادة، ثم اخذ في الحشرجة بعنف ، تلك الحشرجة التي لم تتركه حتى ذهب عنه دون فيسنتي ، وعندما وصل دون فيسنتي الى منزله ونام اخذ يحشرج بعنف تماما كما يعاني العجوز المحتضر ، بل على العكس بدا له وكأن تلك الحشرجة تشده من كل شروره ، واخذ يتقلب في السرير في معاناة قاسية — وكان الفراش الوثير اقسى من زكيبة العجوز المحشوة بالقش . واخذ يعاني من ظمأ شقق فمه وجفنه. وتوهم انه يشرب ولكنه كان دائما يمج الماء الحار المليء بالفقاقيع ، ثم اخذ في ضحك (هستيري) ، كما كان يفعل قريب العجوز المخمور تماما .

واخذ يقول في صوت مرتفع مقلدا صوت الرجل المخمور :

— أوتعتقد انك تقوم بعمل الخير، لانك اعطيت السر لهذا البائس ، كي يشربه .

— اذهب — اذهب الى جهنم .

ونهض من فراشه وخرج ، وكانت تلك الليلة مقمرة ، مضيئة — كنهار مشمس ، واخذ يجري ، يجري ، في اتجاه شارع ضيق، وهو الطريق الوحيد الذي بدا عليه الانتعاش في الضاحية ، حيث تجمع اهالي البلد للحصول على الماء النابع من نافورة شحيحة الماء . واخذ يجري في مواجهة طفل في اسماله يحمل ابريقين مملوءين بالماء يلمعان في ضوء القمر وسأل الطفل ، أيمكن ان تسقيني ؟

ودهش من اشارة الطفل بالقبول ، اشارة ساكتة ، واعطاه دون ما كلمة احد الابريقين .

واخذ يشرب بشراهة ، وكان الماء عذبا زلالا ، فأخذ يفكر في العجوز الذي يكاد يموت من الظمأ .

وسأل الطفل :

— اتبعني هذا الابريق ؟

وضحك الطفل ساخرا .

الجزائر الحرة

من وحي النصر الكبير بمناسبة الذكرى الاولى لاستقلال الجزائر

عجبا .. أيضحك من تنزت بالدماء جراحه ؟
واصابه سهم الزمان .. فهيض منه جناحه ؟
وطفت بسيل الغاصبين .. سهوله وبطاحه ؟ ...
عجبا .. أيغتبط امرؤ .. بيديه فل سلاحه ؟
وغدا بلا وطن .. وضجت بالنوائب ساحه ؟ ..
أوليس هذا ما دهاك ؟
أتراك تنسى كل ذاك ؟
النازحون ذووك .. انت لما اعتراهم ذاكر
بين الفيافي والحواضر .. شملهم متناثر ...
كم حق ان تبكي لذاك دما .. ففيم تكابر ؟ ...
فأجابني : « هون عليك .. اما اتتك بشائر ؟
ماذا تظن ؟ .. أكل يوم تستقل جزائر ؟ ...
هل فاتك النبأ الكبير
وصداه ينقله الاثير ؟
اسطورة الاجيال .. في الاقدام .. في البأس الشديد
فوق الجزائر كللت بالغار .. والذكر الحميد
ابطالنا انتزعوا هناك .. برغم خصمهم العنيد
نصرا مسالكهم اليه .. تضرجت بدم الشهيد
من اجل ذاك .. انا وانت نعيش ابهج يوم عيد
تلك البطولة لا تضاهى
اذا جاوزت اقصى مداها .. »
كم ردد الباغي – وهذا الكون طرا يسمع – : –
« ارض الجزائر ارضنا .. وبها نسيم ونرتع
برهاننا .. سيف نريق به الدماء .. ومدفع
والويل للعربي .. ان هو بالتحرر يطمع »
فأجابه الابطال : « قبرك هاهنا .. والمصرع .. »
وتواثبوا نحو القتال
يدك عزمهم الجبال
وهناك في (اوراس) .. في القمم الرفيعة والهضاب
لم يثنهم ومض القنابل .. ماج في لمع الحراب
فمضوا .. وكل في طريق النصر يهوي كالشهاب
ليقوضوا حلم العدو .. فيستحيل الى سراب
ويخلدوا مجدا بآيات .. هي العجب العجاب ..
وتمزقت سحب الظلام
وعاد للوطن السلام
وتبسم الفجر الوضيء .. على الشواطىء والبطاح
ليطل باليوم الجميل .. طليعة الحق الصراح
وتبسمت معه الجزائر .. تجتني ثمر الكفاح
وتجاوب الوطن الكبير .. من الجناح الى الجناح :
« يهنيك يا مهد الاباة .. نعمت بالنصر المتاح
وغدا سبيلك في الجهاد
رمزا لتحرير البلاد »
والى فلسطين المخضبة الثرى .. هفت القلوب
فأهاجت الجرح القديم بها .. وايقظت الندوب
واثارت الشوق الملح .. الى ميادين الحروب
وتساءلت : « من غير قومي .. للنوائب والخطوب
فالي يا عربي .. كالاعصار .. كالليث الغضوب
وكفى بأبطال الجزائر
مثلا مع الامثال سائر .. »

عمان

محمد سليم رشدان
ماجستير في الادب واللغات السامية

– ولما لا تأخذها بلا مقابل ، فأنا لا ابيع الماء .

وجرى الشارع كله في شوط واحد حتى وصل الى الزكيبة التي ينام عليها العجوز فوجده كساعة ، ان تركه فاتحا فاه في ألم .

وفي ضوء القمر لمح العجوز ثانية وهو يهذي ويختلج .

– ماء – ماء .

وانحنى عليه بسرعة واخذ يسقيه من الابريق . وعندما احس العجوز بالابريق يلاصق فمه بدا وكأنه يشعر بشيء غريب مجهول سقط عليه من السماء فجأة ، في تلك اللحظة ، واحس العجوز بسعادة لا نهائية لان دون فيسنتي ساعده هذه المرة من اجل الله وفي سبيل الله وحده ، واحس كذلك انه شرب من نافورة احلامه ولكن سعادته الكبرى هو احساسه العظيم بأن دون فيسنتي قد وجد الكنز العظيم الذي دفنه والده .

القاهرة

السيد فرج



شكري شعشاعه

شكري شعشاعة في ثلاث صور

بقلم البدوي الملثم

فجر الحادي عشر من حزيران عام ١٩٦٣ فقد الادب العربي المعاصر في المرحوم شكري شعشاعه اديبا موهوبا تميز بالاسلوب الرفيع والعقل النير والفكرة المشرقة ولو قدر للفقيد ان يعيش في بيئة فسيحة الرحاب ، نقية الجواء ، عليلة الهواء وسلخ سني عمره في بلد يقدر الكفاءات ، ويقدس الفكر ، ويكرم اهل القلم ، لاجترح الافانين ولسخا على الادب العربي المعاصر بروائع الفصول ولاستوى على اريكة المجد عملاقا من عمالقة الادب ، ولجلس مع كفيف القاهرة طه حسين والعقاد ولطفي السيد واسماعيل مظهر وسلامه موسى واخوان هذا الطراز الممتاز في مصاف واحد!

مولده ودراسته : ولد الفقيد في غزة هاشم (فلسطين) وانهى دراسته الابتدائية والاعدادية في مسقط رأسه وفرغ من دراسته الثانوية في نابلس ودرس العربية على الشيخ احمد البسطامي والرياضيات على الشيخ وجيه زيد الكيلاني وعاد الى غزة ودرس العروض على الشيخ عثمان الطباع وعكف على دراسة العلوم الاقتصادية والمالية دراسة خاصة .

الوظائف التي شغلها : كان اول عمل زاوله الفقيد كتابة الرسائل في مصلحة المكوس بيافا ثم رياسة كتاب مصلحة المكوس ثم رياسة ديوان المحاسبة المالية في عكا ، والى جانب هذه الوظائف امضى مدة من الزمن معلما للعلوم الرياضية والتاريخ والاخلاق في مدرسة عكا الاعدادية ، وخلال عمله في يافا درس الفرنسية في معهد الفرير دراسة ليلية وكان اول مقال كتبه في يافا عام ١٩٠٨ بعنوان « اودعتني اسرارها ومشت ! » وقد نشرته عهد ذاك جريدة « السائح » النيويوركية لصاحبها المرحوم عبد المسيح حداد .

صفحة سياسية مطوية : وبعد ان خفتت نامة الحرب العالمية الاولى ووقعت فلسطين فريسة في براثن الانكليز كشر الاستعمار عن نابه وراح يمهد بكافة اجهزته وامكانياته لتهويد ارض البطولات والفداء وتقديمها لقمة سائغة لشذاذ الافاق ، عندها تنادى الفقيد شعشاعه ونفرا من اخوانه شبان عكا الى تأليف جمعية سياسية سرية واخذوا يعقدون ندواتهم في ظلام الليل بقبو من دار آل خوام (من الاسر العريقة في عكا) وفي الموعد المضروب من كل اسبوع كانوا يدلفون الى القبو بوجوه مقنعة واسماء مستعارة التداول بشؤون بلادهم وانقاذ وطنهم مما يحاك له سراوجهرا.

وذات يوم هبط عكا شاب متحدر من اسرة عكية معروفة وشغل وظيفة مفوض شرطة وفي حلقات خاصة به طفق يندد بالاستعمار ويتظاهر امام نفر من مواطنيه بكرهه ويدعو الى مناجزة الانكليز ، فاغتر مواطنوه بكلامه وآمنوا بصدق وطنيته وكشفوا له الجمعية السرية التي نظموا عقدها في عكا ، فاطرى عملهم وابدى رغبته في الانتساب لها والعمل معهم على مكافحة بريطانيا واليهود انقاذا لفلسطين من شر يبيته لها خصومها الاشداء الالداء !

وفي اول جلسة عقدها فتية آمنوا بربهم وغالوا بحب وطنهم في القبو المعهود وقف شاب من آل خوام في وسط اخوانه ورشح الشاب العكي ذا البزة العسكرية للانتساب الى جمعيتهم واخذ يطري لهم اخلاقه ويشيد بوطنيته واستعداده للبذل بدمائه في سبيل بلادهم ، غير ان المرحوم شكري شعشاعه وبعض العاملين معه قاوموا الاقتراح واوجسوا خيفة من شخص يعمل في المباحث والامن العام، لكن من شحه وزكاه اكد لاخوانه ان الرجل فوق الشبهات والظنون ، فلم ير الاعضاء بدا من الاذعان لاقتراح رفيقهم، وفي الجلسة القادمة جاء (مفوض الشرطة) بزي مدني ووجه مقنع فرحب به الاعضاء واطلقوا عليه اسما مستعارا، وظل يوالي الاجتماع بهم الى ان وقف على هوياتهم واسمائهم الحقيقية وذات ليلة جاء على راس فصيل من الجيش البريطاني فأحدق بهم وقبض على نفر منهم وهرب ابن الخوام بحرا الى امريكا ولاذ المرحوم شعشاعه بمركب ميمم بيروت وبعد ان بلغها قصد دمشق وعين بوزارة المالية في عهد المغفور له فارس بك الخوري ، وزير المالية عهد ذاك بتوصية من الاريحي الغيور احمد حلمي باشا عبد الباقي وبعد فترة عين مميزا للواردات .

الى الاردن : وفي عام ١٩١٩ عين محاسبا للسلط وظل في مركزه هذا حتى تالفت حكومة البلقاء الوطنية فصار مديرا للمالية، وعندقدوم المغفورله الامير عبد الله بن الحسين

للاردن في عام ١٩٢١ تقلد منصب مدير المحاسبة العامة ثم منصب المستشار المالي ثم منصب مفتش المالية العام ثم صار مديرا عاما للبرق والبريد فمديرا للواردات العامة فمديرا للخزينة فعضوا في المجلس التنفيذي واخيرا تقلد منصب وزير الداخلية والدفاع والى جانب هذه المناصب الرفيعة كان رئيسا للجنة الاصلاحات المالية وعضوا في مجلس الشورى وعضوا في ديوان تفسير القوانين وعينا في مجلس الاعيان ورئيسا لديوان المحاسبة وتعلم الانكليزية بنفسه .

ومن غرائب القدر ان مفوض الشرطة الذي كان عينا للاجنبي على اخوانه وسببا في تشريد شعشاعه باشا واخوانه المؤمنين بعدالة قضيتهم هجر فلسطين الى عمان وترامى على يد الفقيد الجليل وطلب كفارته وسأله عملا حكوميا فتناسى معاليه ذنب رجل المباحث ووسده عملا في الخزينة (وزارة المالية اليوم) التي كان يراسها شعشاعه باشا عهد ذاك ولسان حاله ينشد مع الشاعر العربي :

كن كالنخيل عن الاحقاد مرتفعا　　يؤذى برجم فيعطي خير اثمار !

الفقيد أديبا

تناول الفقيد شعشاعه باشا بقلمه الخصب شتى المواضيع وترك ثروة قلمية نفيسة كان اهمها :

١ ـ النظام المالي في امارة شرقي الاردن ٢ ـ التأثل او كيف تنمي دخلك (عربه عن الانكليزية) ٣ ـ اقوال مأثورة في الحكومة والحياة (عربه عن الانكليزية) . ٤ ـ المذاهب المالية ٥ ـ همس الصور (مجموعة مقالات وابحاث في مواضيع مختلفة) ٦ ـ النفثات (ديوان شعر جمع فيه منظومه معبرا عن ارائه في الحياة) . ٧ ـ ذكريات ٨ ـ في طريق الزمان .

ونشر معاليه مقالات قيمة في مجلة « المقتطف » اتسمت بشمول الفكرة والعمق واصالة الرأي ، وحسب الادب المعاصر اعتزازا وكسبا كتابه « ذكريات » وفيه نقد فئات ملتوية من الناس نقدات فيلسوف حكيم عجم عود الحياة وتمنى لو ان الحياة تأخذ شكلا فارعا غير شكلها الملتوي ورجا لو تنكبت تلك الفئات المنحرفة طريق الخير والصلاح واقلعت عن اللعب على الحبال، والوثب على الاكام والتلال!

وغالى شعشاعه باشا بتمنياته ... فسأل ربه ان يخلق الناس من طين غير هذا الطين الملوث ... لكن هيهات ان تحقق السماء امانيه وهذا الانسان الراسف في اغلال العبودية ، والممعن في ماديته ، والساجد لعجول الذهب ، هو الانسان الذي عرفه الوجود منذ الازل :

الا انها الايام ابناء واحد　　وهذي الليالي كلها اخوات !

واحدث كتاب « ذكريات » دويا بعيدا في الاوساط السياسية الاردنية بصوره القلمية الجذابة وفيها تناول اناسا زعموا الفضيلة وحملوا السبحات وقرأوا الاوراد والتراويح ، والدين الصحيح براء منهم !

نموذج من نثره : ولاشرك القارىء في لذة النفس الصوفية ونقائها وبريقها وصفاء سريرتها تعال نقرا معا سطورا فاضت بها نفس الصوفي الكبير في خلقه ونوازعه ، واملتها في اعقاب الليل على الرجل « السبرمان » فصورها على القرطاس بقلمه وكانت هذه الصورة الخلابة :

«هل اتفق لك ان نهضت في اعقاب الليل، وهو يتراجع متثاقلا ، يسحب اردانه ، ويجرر اذياله ، فيصحو على حفيفها الكون ، وانامل الفجر تمسح على وجهه ، وانفاس الصباح تغشاه ؟ !

حينذاك انت في السحر ، حيث تحلم الدنيا وتنعدم المسافات ويرتفع الحجاب بينك وبين الهك ، فتتصل به روحك بالنجوى ، وقلبك بالخشوع !

ما احيلى ان تجد نفسك عند مطلع الفجر ، بين يدي ربك ، تصلي وتستغفر ، ثم تدعوه وتضرع اليه ، وتلح في التماس العون والرضا والغفران والعافية في الدنيا والآخرة ! »

في يقيني ان اسلوب الفقيد شعشاعه يتميز عن اسلوب عميد الادب العربي الدكتور طه حسين بتفادي التكرار ، وفي اعتقادي ان للدكتور طه عذره اذا ما جنح لمثل ذلك التكرار واللف والدوران ، فهو كفيف اولا يحاذر الوقوع في خطأ او رأي ، وليجانب الخطأ عمد الى التكرار خشية ان يهوي في مزلق من مزالق القلم ، وله خصوم اشداء يتربصون به الدوائر !

وتدليلا على قيمة الفقيد الادبية لا انسى يوما زرت فيه العالم الفقيد اسماعيل مظهر في دار المقتطف بالقاهرة وهو يراس تحريرها ودافعت اليه مقالا حملته من عمان بقلم المرحوم شعشاعه باشا ، وما ان تلاه اسماعيل ووقف معجبا بالاسلوب العالي حتى انبرى للسؤال عن كاتب المقال وسر اقامته في الاردن ، فرويت له حكاية الفقيد وسردت له شوامخ الوظائف التي شغلها ، فما كان من المرحوم مظهر الا ان استدعى الى مكتبه صفاف الحروف وسأله ان يفك حروف الافتتاحية التي كتبها للمقتطف ويستعيض بمقال الاستاذ شعشاعه ، فاكبرت عمل الرجل النبيل الذي آثر مقال شعشاعه باشا على مقاله وهذا لعمري عمل لا يأتيه الا الرجل المثالي المتعالي على الانانية ونزعات الشيطان !

الفقيد انسانا

كان شكري شعشاعه ، يرحمه الله ، صوفيا في دنياه، محلقا عن تفاهات الحياة ، متعاليا على صغائرها ، متشامخا على غرورها وعرضها الزائل ، وكان اقرب الناس منزعا الى الفيلسوف الصوفي محيي الدين بن العربي ، الذي عاش حياته محبا للانسانية ، ذائبا في وجودها ، داعيا الناس الى تفاعل بعضهم ببعض ، واعتبار البشرية اسرة واحدة تعبد ربا واحدا وتهدف الى هدف واحد .

ولكم كان يستهوي شكري (باشا) ان يردد في مجالسه

الطرفة التالية :

« يروى ان ملك تونيه (المسيحي) اهدى الشيخ محي الدين بن العربي دارا يقيم فيها غير ان ابن العربي عاد فأهدى الدار الى سائل عابر طلب ان يمنحه شيئا من مال الله فقال له الشيخ الاكبر جادا : « ليس عندي غير هذه الدار فخذها ، فأخذها السائل وعاد ابن العربي لا يملك من حطام الدنيا شيئا ! »

ست وعشرون سنة وانا ملازم الفقيد ملازمة تميزت بالاخاء والوفاء واتسمت بالالفة والطمأنينة ، فما استعرضنا يوما شأنا من شؤون الحياة الا وحض معاليه حواريه وجلاسه على العمل بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتجرد عن الانانية ، والتحليق بالانسانية ، لترجح كفة الخير على كفة الشر وليعيش بنوها اسرة واحدة نزاعة للخير ، بعيدة عن مواطن الشر !

دعا نفر من الناس الى تقسيم الناس الى مذاهب واديان وعقائد ، لكن معاليه دعا الى احترام كافة الاديان وقال لنا: « احترموا دين البوذيين يحترموا دينكم ، واذا هزأتم بعقائد غيركم حملتموهم على الاستهزاء بعقائدكم ، واذا ابديتم عدم التسامح خالفتم وصايا نبيكم ! »

اوغل الناس بالخصومات ، واسرفوا بالحزازات ، فأوغل معاليه بمحبة الانسانية والبذل في سبيلها وقال مع مونتسكيو :

«يجب ان تحب الانسانية اكثر من وطنك، ووطنك اكثر من عشيرتك ، وعشيرتك اكثر من والديك ، ووالديك اكثر من نفسك ! »

وعرف معاليه الاسلام الصحيح فغاص على جوهره وطبقه نصا وروحا ، وخرج مترع الوطاب بالكنوز الغوالي، وراح ينثر وزناته على من لزم حلقاته ، ونهل من معين حكمته ، ولو عاش ، رحمه الله ، هادىء النفس ، بعيدا عن القلق ، لنفح الانسانية من روحه وذوب نتاجه الشيء الكثير ، وحسبه قوله الشهير :

« كما ان الانسان اعظم ما في الوجود كذلك اعظم ما في الانسان الاخلاق الراقية ! »

كان فقيدنا العزيز واحدا من سلسلة اعلام مروا بهذا العالم الجاني مرا سريعا وتركوا في تاريخه اثارا رائعة !

واذا كان الحلاج والغزالي وابن العربي وجلال الدين الرومي والسهروردي وابن الفارض وابن سيناء اعلام التصوف الاسلامي فشكري شعشاعه خاتمة هذا العقد الفريد النفيس !

الفقيد مصلحا

شهدت النهضة الفكرية المعاصرة روادا شقوا طريقها ، واقاموا صرحها ، ودعوا بالسنتهم واقلامهم الى الاصلاح ، وهتفوا مع ابن تيمية القائل :

« ان الله يقيم الدولة العادلة وان كانت كافرة ، ولا يقيم الدولة الظالمة وان كانت مسلمة ! »

ورغم اختلاف الطرق وتشعب الوسائل التف اولئك الرواد حول هدف واحد وغاية واحدة هي استئصال شأفة الفساد من جسم الامة العربية واحياء الحضارة الاسلامية وبعث المجد الغابر واستعادة الفردوس المفقود ، وبالتالي نفض الكرى عن عيون النائمين العرب نومة اهل الكهف..!

وكان في طليعة اولئك الرواد جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وسعد زغلول واحمد لطفي السيد وسليمان البستاني !

وانتشرت تعاليم هؤلاء الرواد ، في كل صقع وناد ، وتأثر بها نفر واع من سورية الجنوبية (فلسطين) وهشوا لها ، واستروحوا عبيرها وفي طليعتهم : نخله زريق وخليل السكاكيني واسعاف النشاشيبي والشيخ سليمان التاجي الفاروقي وشكري شعشاعه الذي وقف على علل قومه واستقصى اسباب تأخرهم فطفق يعالج قضاياهم بقلم خصب سيال ، وانبرى يصف الداء والدواء ، ويرجو ان يسدد الله خطاهم ليسيروا صفا واحدا نحو محجة واحدة ، وظل على اعتزازه بحضارة الاوائل وافتخاره بالدين الطهور وايمانه بالرسالة السامية التي حمل لواءها الرسول العربي الكريم !

وكان شعشاعه (باشا) فخورا بالسلف الصالح ، معتزا بخلالهم الرفيعة وسجاياهم الحميدة ، وذات يوم كنا نستعرض معا التاريخ العربي في كافة صوره وعصوره فقلت لمعاليه : « لو قدر لك يا (باشا) ان تعيد عقربي الساعة الى الوراء ، فأي عصر تختار من عصور السلف الصالح ؟ » . فغاب معاليه في شعاب الفكر ومتاهات الماضي ورفع راسه بكبرياء وشمم واجاب بنبرة الاعتزاز والفخر : « عصر عمر ! » .

شغل معاليه في الاردن طائفة من المناصب الرفيعة وكان آخرها منصب رئيس ديوان المحاسبة ، وهو منصب رفيع حساس ، وظل يصرف شؤون هذا الديوان على احسن وجه ، ويجاذب موظفيه حبل الود ، ويمحضهم عطفه وحنانه، وذات يوم استروح غيوما سوداء في افق الديوان، وان هنالك دسا من زميل على زميل ... فهاله الامر ، وحز في نفسه ان تمرع النميمة وتفرخ ، وترجح كفة الشر على كفة الخير ... وتسود الرذيلة الفضيلة فبعث لابنائه موظفي الديوان بكتاب تحدث اليهم فيه حديث الاب الشفوق على ابنائه وسألهم الترفع عن الوشايات ، ورجا لهم نفوسا شفافة تحلق عن الغدران الآسنة ودونك نصه :

« للزميل في العمل المشترك على زميله حق لست احسبه يقل عن حق الصديق على الصديق ، او حق القريب على القريب ! اما معنى هذا الحق فتفسيره ان يتعاون الزميل هو وزملاؤه على النهوض بالواجب المشترك ، وهو يعرف انهم بشر مثله يخطئون كما يخطىء في الاجتهاد وفي تلقي الامور وفهمها ، فلا يثور على زميل له لامر عابر

شلال « زنجو »

خاطرة شعرية في وصف بقعة ساحرة من افريقيا العذراء

●

في رفقة ضمت كرام الصحاب   شمنا الى « زنجو » طريق الذهاب
هناك مهوى عبقري الرؤى   من المياه الهادرات الهضاب
في صخب مبداه والمنتهى   من مولد الدنيا ليوم المآب
أصداؤه لما تزل تلتقي   على سؤال عز عنه الجواب
فيه تهاوى اللج من حالق   وثار في الجو رذاذ العباب
وهامة النهر به توجت   من زبد تاج لجين مذاب
وفيه ألقى قزح قوسه   فقبل الاطياف منه الحباب
في مائه تسبح جنية   وراء ستر من رقيق الضباب
تبدت الفتنة عريانة   واسفر الحسن ونحى النقاب
واصغت الغابة مشدوهة   الى اناشيد المياه العذاب

لا بد دون الحسن من مرتقى   وعر كلسع النحل دون الرضاب
وهكذا رحلتنا نحوه   حفت بسير الركب فيها الصعاب
لكن يهون الجهد دون المنى   اذ تسعد النفس بمرأى عجاب
تجلت القدرة فيه على   عبادها وانزاح عنها الحجاب

ليوبولدفيل   جمال مرسي بدر

قد يكون مبنيا على نية حسنة وليس فيه ما يدعو الى شيء من سوء التفاهم !

اود ، اذ اتحدث بهذا الذي اتحدث فيه ، ان اقول لقد وجدت حسن الظن في التلقي واتخاذ العذر يكفلان دائما حل المشكلات وازالة سوء التفاهم ، وعلى الضد من ذلك سوء التلقي فهو دائما مجلبة للمشكلات والعداوات !

حدا بي الى هذا الحديث الذي اطمع في ان يتلقاه رفاقي في ديوان المحاسبة على انه حديث محب لهم، مريد لخيرهم جميعا ، ثم انه شخصي وليس بالرسمي — حدا بي الى هذا الحديث ما شعرت به من ان السكينة النفسية بين طائفة من موظفي الديوان ليست على ما ينبغي لها ان تكون في الدائرة الواحدة !

يحدث ان تخلق كلمة غير مترتبة او راي متعجل ، شيئا من الجفاء بين زميل وزميل ، وبدلا من ان يترك الامر للزميلين يعالجانه فيما بينهما بالتي هي أحسن ، يقرع الباب زميل ثالث ويهتبل فرصة غياب احدهما فيسأل الحاضر عما حدث بينه وبين فلان ويحذره من فلان وينقل اليه رأي فلان في فلان ، ثم يقرع الباب زميل آخر فيتصل بهذا أو بذاك ، مثيرا وليس مهدئا ناصحا ، وهكذا تهرب السكينة ، ويسود الجفاء وسوء الظن وتكثر الاقاويل الهامسة وغير الهامسة ! » .

لقد خسر العالم العربي في شعشاعه (باشا) مصلحا كبيرا زانه الله بعقل نير وصدر رحب وراي سديد وخلق عظيم، ولكم كان جريئا غير هياب في قوله :

« علينا ان نقتبس كل جديد ونافع ولا فرق عندي أن يكون مصدره المجوس ام المسلمين ، مكة أم باريس ! » .

عمان   البدوي الملثم

الشعر والنقد الادبي

بقلم خضر عباس الصالحي

* * *

ان الشعر لم يكن في اساسه غير خلق قيم جمالية ، ونحت صور من الالفاظ تجسم المرئيات ، وهو خير مصور للاحاسيس الانسانية ، واحسن معبر عن انفعالات النفس ، وانه وليد احداث الحياه ، ومرآة صادقة تعكس مشاهد الواقع ، وسبر غور الحقائق واقوى سلاح يوجه الى صدر الظلم والاستعمار ، ويدفع الجماهير العربية المكافحة نحو معارج النور ..

والشاعر هو ذلك الانسان الرقيق الشعور ، المرهف الاحساس ، الحاد العاطفة ، المتوثب الخيال ، العريض الامال ، المنطلق في اجواء الانسانية النبيلة التي قوامها التضحية والتفاني والايثار ... ! والذي تسري في تعابيره نيران الثورة العارمة في سبيل الحق والواجب والحريه، وتتفاعل الاحداث في نفسه فينظمها شعرا وطنيا لاهبا ، ويرتبط موضوعيا بواقع امته العربية ومشاكلها ، ويسعى الى تجسيد بطولاتها الشماء ، ونضالاتها الفريدة بالشعر المتسم بالصدق الفني ، والحافل بالفكرة والعاطفة والموسيقى ... !

ولعلنا نستطيع ان نقول في ثقة : أن الشاعر الحق هو الذي يبعث في النفس اروع الاحاسيس واغناها ، ويكتشف الافاق الجديدة ، ويحطم الحواجز والسدود ، ويعمل جاهدا لدرء الظلم عن الانسان المستضعف ، ضمن نظرة شاملة جميع نواحي الكون والوجود ، ويتخذ الحياه مادة حية ثرة ، ويعشق مفاتن الطبيعة الاخاذة بكل ما فيها من جمالات وازهار ورياحين ومناظر مونقة ، فتزيد في ثراء خياله وتلونه ، وتتفتح امامه مجالات واسعة من الابداع والخلق الفني ، حيث ينقلنا الى دنيا الاحلام ، وعوالم السحر ... !

ان الصور الشعرية تلعب دورا هاما في العمل الفني ، كما ان انتقاء الكلمات ، وابراز القسمات ، وتجسيد الرؤيا ، والترابط العضوي بين اجزاء القصيدة شيء له اهمية كبرى في نظم الشعر ... !

والشاعر الملهم هو القادر على النفاذ الى ابعد اغوار النفس البشرية ، والمتصيد للمعنى البديع ، والراسم للصور الشعرية المستمدة من واقع حياته . والمتفهم مشاكل الشعب على ضوء المشاكل الانسانية الشاملة ، والمعبر عن قلق وازمة الانسان المعاصر ، والمقدم معطياته الفكرية على الصعيد الانساني ، دون أن يتأثر خطى الاخرين ، ويجري على منوالهم فيكون اكثر قدرة على معالجة مشكلات العصر ، والتخلي عن الموضوعات التي لم تعد تتجاوب مع تطور الزمن . ويجاهد للسمو بالشعب الى المطامح النبيلة، فلا يدخر وسعا في الدفاع عن حقوقه المشروعة ، ومكافحة الفئة العميلة التي تتلاعب بمقدراته ، وتسعى الى فرض القيود الثقيلة على كاهله ، فيندفع الى المزيد من بذل الجهود الصادقة بغية تحقيق الاهداف المثلى ، فيكون للجيل المعاصر نبراسا منيرا يضيء الدرب !

اما الشاعر المنكمش على ذاتيته ، والذي ينتج لنفسه في انانية مغرقة ، ولا يرى بأسا في انعزاله عن المجتمع ، واستعلائه على الناس ، والذي يسير في طريق الاتجاه الذاتي الصرف ، فلا يتناول موضوعات تشغل بال الناس، ولا يعيش المعاني الانسانية الرفيعة بقلبه وافكاره واعصابه، ولم يكن ذا قدرة على الاداء الرائع ، واختيار العبارات التي لها دلالتها الحسية ، ولا تتوفر في قصائده الوحدة الفنية ، والفكرة الجديدة ، والقوة في التعبير ، والجزالة في الالفاظ ، واستكناه المضمون الانساني فانه يخطو حثيثا نحو الانهيار ... !

وهنا لا بد من الاشارة الى ضرورة الاهتمام بالنقد الذي هو عملية التمييز بين الغث والسمين بمدلولها الواسع ، وتقييم الانتاج الادبي والحكم الصادق عليه ، وفهم الاثر الفني وتحليله وتثمينه ، وانه محض توجيه وارشاد ، وتصحيح اراء وارجاع الى طريق الصواب ، وليس هو عملية تجريح ، ومجرد لغو فارغ ، وكلام لا طائل وراءه ، وتنكر للضمير الادبي ... ! وان التحيز الشخصي والتعصب الاعمى اللذين يتحكمان في نفس الناقد ، فيطلق احكامه الجائرة التعسفية بدون ادلة ولا بينات ، ويجعل من نفسه مركز الوصي على افكار الادباء فلا يسنده بما يسوغه من شواهد ، او يجشم نفسه عناء التغلغل في جذور البحث، او يفيه حقه من التحليل ، او ابراز مقدار التطور والتبدل والنمو الذي وصل اليه ، فليس ذلك من النقد الموضوعي الذي يقوم على الفهم والوعي والتقييم الصحيح للاثار الشعرية ، والحافز للتقدم، والمساهم الفعال في بناء وتدعيم التراث الفكري العربي ... !

وليس هناك من يستطيع ان ينكر في ان للناقد مسؤولية كبيرة تجاه القراء ، اذ يجب ان تكون الصراحة سنته ، والانصاف ديدنه ، فيتناول القصيدة محاولا نقد بنائها الشعري ، واستيعاب دقائقها وتقييمها في نزاهة وحياد وتجرد ، كي لا يكون نقده ضربا من المجاملة والعبث ، حافلا بالمغالطات والتناقضات ، وهزيل الافكار ، والاهواء الشخصية ، ويغلب عليه طابع من السطحية التي لا فائدة ترجى منها ... !

ان دراسة المؤلفات الشعرية تحتاج الى كثير من

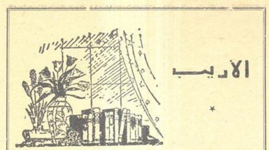
التمحيص والنظرة المتانية قبل اعطاء راي قاطع عنها ، وعملية النقد تتطلب المعاناة والمران والتجربة ، والتزام الطريقة الموضوعية البحتة لان المسؤولية التي يحملها الناقد امام ضميره تلزمه التحلي بالصراحة في ابدع صورها ، والتعبير عن الحقيقة في اروع معانيها ... الحقيقة التي لا يرقى اليها ريب ، فيعالج موضوعه بروح منصفة متجردة . ليأخذ نقده حظا اوفر من الاصالة والعمق والصدق . ويكون صافيا خاليا من الشوائب ، حافلا بالفهم الكامل لحقيقة العمل الادبي ، متوفرة فيه مقومات النقد الاصيل قائما على اسس وقواعد فنية راسخة ، لا ينقصه شيء من التروي في اطلاق الاحكام ، يتلاءم مع الافكار الجديدة التي تفرضها طبيعة التطور لحياتنا الراهنة التي استدعت خلق قيم ادبية جديدة اصبحت اكثر انسجاما مع المرحلة التاريخية الجديدة التي ازاحت عنا رسوبات الجمود والاجترار والتزمت !

ونحن اذ نقرر هذه الحقيقة لا اجد محيصا عن ذكر ظاهرة تستلفت النظر ، وهي التردي الذي صار اليه النقد الذي ليس فيه مسحة من الموضوعية النزيهة ، وبات عامل تدمير لكل القيم الفكرية ، وتأجيج جمرات الاحقاد ، والنزول بالمناقشة الى مستوى الخصومات الشخصية التي تكشف عما في نفس الناقد من الانانية والاثرة وحب الذات ، فيلقي اللوم والتقريع جزافا على الادباء ، حيث لا يملك وسيلة لاقناع القاريء غير الخروج على المألوف : بدبج الكلام التافه الباهت المفتعل ، والتراشق بالسباب والشتائم المقذعة كأنها حقائق مطلقة ثابتة ، فتجيء كلماته خالية من الموضوعية ، والنظرة الصائبة الموجهة ، والروح المجردة عن الهوى ، وليس من شيم الناقد المنصف ان يسف الى درك المهاترات الشائنة ، او ان يبخس الناس اشياءهم ، من جراء افكار ومفاهيم بالية رثة تستحوذ على ذهنه ... !

ان على الناقد ان يستكمل مستلزمات النقد ، فيتناول الاثر الادبي في شيء من التعمق والتبصر ، وبالاسلوب الموضوعي في النقاش ، فيكشف عما فيه من جوانب الابتكار والابداع بعناية ودقة ، ويحاول الاطلالة بعمق الى ما وراء المعاني والالفاظ ، وان تكون الاساليب العروضية والتعبيرية واللغوية مبعث اهتمامه .

ان الشعر اليوم تتنازعه تيارات كثيرة في ظل احداث خطيرة من الصراع العقائدي والفكري ، ولذا فقد تزايدت الحاجة الى الدراسات الجادة الموضوعية وتقييم الاعمال الفنية ، فالنقد النزيه المتعمق المقرون بصواب الفكرة ، وسداد الراي ، من اكبر العوامل الفعالة التي تدفع النتاج الادبي نحو التطور والتقدم والازدهار .

بغداد — **خضر عباس الصالحي**



*

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

⊙

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

⊙

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

⊙

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — المنزل ٢٢٥١٣٩
Tél. : Direc. : 223819 — Dle. : 225139

⊙

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت — لبنان



ابن حنبل

تأليف : محمد رجب البيومي ـ ١٦٣ صفحة ـ منشورات الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ـ مطابع الدار القومية بالقاهرة

« هل كان يدري هذا الفتى الناحل الذي يحمل اوراقه مختلفا الى مساجد بغداد وفي مشيته تؤدة واطمئنان وعلى محياه جد واهتمام انه سيصبح ملء السمع والبصر بعد امد قد يطول ؟ وهل كان يدري قرناؤه ولداته انهم يحفون بطالب علم ذي مستقبل مرموق تنتظره الحظوة العالية وترتقبه الشهرة اللامعة ليصبح فيما بعد نجما ساطعا متألق الاضواء ..؟»

بهذه المقدمة الادبية يبدأ الاستاذ محمد رجب البيومي كتابه عن « ابن حنبل » ولا غرو ان تأتي السطور الاولى من كتابه بهذا الاسلوب الذي تفوح منه رائحة الشعر ويمتزج فيه التاريخ بالادب فهو شاعر مرهف الحس هزته مواقف العظمة والبطولة في حياة ذلك الامام الكبير فصاغ حياته ولا اقول اعاد صياغتها في اسلوب ادبي جذاب فجاء هذا الكتاب كما يقول الاستاذ محمد عطا في مقدمة الكتاب (يمتاز بالاسلوب الادبي العلمي أي الذي يجمع بين المادة العلمية والصورة الادبية مما جعله محببا الى النفس) ..

وفي ستة عشر فصلا كاملة يعرض المؤلف مراحل حياة ابن حنبل مرحلة مرحلة ملقيا الضوء على منهجه وفلسفته مبرزا جوانب العظمة في شخصيته حتى يصل الى خاتمة المطاف في فصل « غروب » في نهاية الكتاب وهو يرمز بذلك الى غروب حياة صاحب الترجمة .

وقبل ان نصل الى هذا « الغروب » يجدر بنا ان نتبع مسار اشعة الشروق في فصل « عطر يفوح » الذي يرسم فيه المؤلف صورة نابضة بالحياة لاحمد ابن حنبل في سنيه الاولى ..

فيعرفك المؤلف بأن ابن حنبل ولد في شهر ربيع الاول سنة ١٦٤ هـ في بغداد لاسرة عربية خالصة من شيبان وقد كان جده القائد الباسل المثنى من حارثة الشيباني يحمل الراية المحمدية في ميدان الفتوح الاسلامية فيطير من نصر الى نصر .

وما يكاد « احمد » يشبعن الطوق حتى ينكب على القرآن والحديث ثم يدرس في الوقت نفسه قواعد اللغة وعلوم الادب ثم يأخذ في الاختلاف الى مجالس العلماء وهو دون السادسة عشرة .

ويدلل المؤلف على نبوغه المبكر بهذه الرواية :

« حضر قوم من المشتغلين بالحديث والفقه مجلس الامام الكبير ابي عاصم الضحاك فقال لهم « الا تتفقهون وليس فيكم فقيه » واخذ يلومهم فقالوا فينا شاب صغير سيجيء الساحة وكانوا يعنون احمد بن حنبل فما لبث ان حضر فقال له ابو عاصم تقدم ايها الفتى فأجاب في ادب اكره ان اتخطى اليك الرقاب ، فقال ابو عاصم : تلك اولى دلائل فقهه اوسعوا له .. فأوسعوا له حتى دخل فجلس بين يديه فألقى اليه مسألة فأجاب وثانية فأجاب وثالثة فأجاب فتعمق به الى مسائل دقيقة ذات بواطن وشجون فنفذ اليها ببصيرته واجاب الاجابة الموافقة فقال ابو عاصم: هذا الفتى من العجائب ... »

ويشتد عود احمد ابن حنبل ويشغف برواية الحديث ويعيش مع اثار رسول الله في بغداد حتى اذا استنفد ما بها من علم وطن العزم على الرحيل الى اليمـن والحجـاز والكوفه والبصره ساعيا الى لقاء رجال الحديث ليكتب من افواههم ما يقولون ..

وفي الرحلة الى اليمن يقف المؤلف مبهور الانفاس امام موقفين مواقف العظمة النفسية لابن حنبل فيتساءل (وما تظن بعالم مفضال كاحمد بن حنبل تضيق به ذات يده في رحلة الى اليمن فلا يلتمس قرضا من رفيق او يطلب زادا من صديق او يكري نفسه حمالا في الطريق فيضع على عاتقه الواهن ما يثقله من عبء كي ينال رزقه سائغا حلالا (دون من يكدره او هوان يؤذيه) ..)

ويتعرض المؤلف في هذا الفصل الى واقعة هامة هي واقعة تحرج ابن حنبل من ولاية القضاء باليمن ويقارن بين تعرجه هذا ورفض ابي حنيفة ولاية القضاء على عهد ابي جعفر المنصور ذلك ان الامام الاعظم كان لا يثق في دولة الخليفة العباس ويرى ان الرضا بالقضاء في حكومة ظالمة لا يمكن ان يؤدي ـ الى تنفيذ اوامر القاضي العادل ونواهيه ولكن احمد حين رفض قضاء اليمن قد نظر الى شيء اخر غير ذلك اذ خاف ان يشغله القضاء عن تلقي الحديث وروايته وهو ما نذر نفسه له ..

وفي فصل « منهج واضح » يلخص المؤلف مكانة احمد بن حنبل في جملة واحدة « احمد امام اهل السنة » .

ويصف منهجه بهذه الكلمات (كان يحفظ الحديث فيخلطه بوجدانه ويمزج بـه مشاعره واحاسيســه فاذا قال فمن هديه واذا فعل فلى ضوئه .. ومن ثم فقد كان يتدبر الاثر ويتأمله ويرى طاعته حتما مفروضا وواجبا مقدسا لا يحيد عنه قيد شعرة مهما اجهـده الامـر وضاق به السبيل ..)

وفي فصل « الكنز الثمين » يتحدث المؤلف عن مسند احمد ابن حنبل وهو اهم ما خلفه للمسلمين من اثار اذ دون فيه جميع ما صح لديه من الاحاديث وقد اوضح طريقته في الجمع اذ قال لابنه عبد الله :

« قصدت في المسند الحديث المشهور وتركت الناس تحت ستر الله تعالى ولو اردت ان اقصد ما صح عندي لم ارد مـن هذا المسند الا الشيء بعد الشيء ولكنك تعرف طريقتي في الحديث . لست اخالفها ضعف اذا لم يكن في الباب ما يدفعه .. »

ويشير المؤلف الى مؤلفات اخرى لابن حنبل ضاع معظمها في خضم الزمن وهي كتاب العلل ـ الفرائض ـ التعبير ـ الناسخ والمنسوخ ـ الزهد ـ الايمان ـ الاثرية ـ الفضائل ـ طاعة الرسول ـ الرد على الجهمية ـ المناسك .

وخلال فصول الكتاب المختلفة يأخذ المؤلف لتنتقل معه في رفقة الامام الكبير من بلد الى بلد ومن موقف الى موقف حتى يصل بـك الى الاخيرة فلا تملك الا ان تستشعر الرهبة امام هذه الشخصية الفذة من شخصيات التاريخ الاسلامي وقبل ان يسلمك الى نهاية الصحائف ، يقف بك وقفة قصيرة تزيد من شعورك بالاجلال والتقدير لهذا المفكر العظيم .

كل يدعوه الى زيارته وقد اعد له الموكب الحافل واقام الزينات الباهرة فيعتذر ويعقل ويظل قابعا في كسر بيته لا يريم ثم يعلم ان طالب علم من تلاميذه يتأوه في مكان حقير باطراف المدينة فيسعى الى عيادته راجلا متجشما على وهن في الجسم وثقل في الرأس .. ونفرة من لقاء الناس . »

هل هناك ايمان اقوى من هذا الايمان وهل هناك ورع اجمل من هذا الورع لقد كانت سيرة احمد ابن حنبل اشبه بالاسطورة ... ومع ذلك فهي اسطورة ستظل خالدة في ضمير الزمن وكل كتاب يجلو صحائف

من هذه السيرة يعد ولا شك كسبا للمكتبة العربية في وقت احوج ما نكون فيه الى الكتابات الجادة العميقة .

الاسكندرية — فوزي عبد القادر الميلادي

•

زيزي هانم

تاليف فوزي عبد القادر الميلادي ـ مسرحية ـ ١٠٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ـ مطابع الدار القومية بالقاهرة

مسرحية اجتماعية من ثلاثة فصـول صدرت فـي سلسلة الكتاب الماسي بمقدمة للاستاذ محمود تيمور .

... حسني مهندس مدير شركة ذكي لكنه عاطفي ينصاع لتجربة من تجارب امرأة انتهازية « زيزي » تسربت الى شقته كما يتسرب الماء من تحت ثقب الباب وتتظاهر بانها اخطأت العنوان في الوقت الذي كانت فيه زوجة المهندس في زيارة والدتها في الريف وتنتهي المغامرة بانقياد حسني لاغراء زيزي ويترتب على ذلك طلاقه من زوجته واقترانه بتلك المرأة اللعوب غير ان هذا الزواج لا يلبث ان يترجح بفعل حياة الضياع والاستهتار التي تحياها زيزي حيث تتخذ من التدرب على ركوب الخيل متنفسا لها من سجنها والسجن في مفهومها هو البيت الذي وضعها فيه زوجها المهندس مدير الشركة ومن ساحة التدريب تبدأ العاصفة هبوبها الذي يبدأ براقا ناعما في صورة خاتم من السوليتير هدية من المليونير سعد صبحي الذي يتدرب معها والذي ارادت ان توطد علاقتها به على حساب زوجها بوعده باسناد مهمة ادارة شركة جديدة للمليونير اليه نظير مرتب ضخم . وفي نفس الوقتتقوم الزوجة بمواصلة البحث عن عريس آخر لتجد مجالا فسيحا للمفاضلة فتتصل بخاطبة تسعى بينها وبين طبيب شاب ذي ثراء ويدور حديث حول هذا الموضوع تطلع زيزي اثناءه الخاطبة على الخاتم وحين تشعر بقدوم زوجها تسرع بوضعه في زهرية الى جوارها .

غير ان غيوم الخداع التي حجبت الجانب الحقيقي من شخصيةزيزي عن زوجها تبدأ في الانقشاع منذ ان اكتشف الخاتم في الزهرية حين كان يشرف على تجديدزهورها وهنا يتصرف تصرفا ذكياحيث لا يشعرها باكتشافه ويدعوها تذهب الى السينما ويقوم بالاتصال بالجواهرجي ويشتري خاتما مزيفا يشبه الخاتم الاصلي ويضعه في نفس العلبـة وتعدل الزوجة عن الذهاب الى السينما وتعود بحجة انها لم تجداختها لتفاجأ بآنسة تخرج من عند زوجها ولم تكن هذه الآنسة سوى خطيبة المليونير التي تنبهت للموقف وجاءت تطلب النجدة من الزوج المخدوع الذي تصرف معها تصرفا انسانيا عاقلا بان رد لها الخاتم السوليتيرالذي اشتراه المليونير من اجلها قائلا : « هذه هديتك ردت اليك » ويطلب منها ان تحذر المليونير من الاتصال بزوجته وحين تسأله زيزي عن الآنسة يجيبها بتحد انها صديقته تماما كما اتخذت هي اصدقاء لها في ساحة التدريب وحين يسير الى التمسك بالشرف والتزامالصدق يذكرها ـ متهكما ـ بما كانت تكرره دائما من ان الشرف والامانة افكار قديمة » .

اما زوجته « سميحة » فما زالت تحتفظ في حنايا قلبها البريء بحب ملائكي رغم الفرقة والالم رافضة عروض الزواج متعللة بحبهـا لابنتها « ميمي » وتحترق مشاعرها اسفا على الحياة المضللة التـي يحياها زوجها مع زيزي اللعوب وتتخذ من قراءة الشعر الحزين سلوى لها في هيكل حبها الذبيح .

وذات يوم خميس يجيء الزوج « حسني » كعادته لزيارة ابنه وهنا يستخدم المؤلف ذلك الرباط المتوهج الذي يشع الحب والذي لا تمتلك القلوب ازاءه الا التسليم فيجعل الابن محركا لبقايا اعتزاز بالزوجية لدى حسني وفي نفس الوقت يأخذ كاتبنا بيد الزوج ليجعلها تعبث بديوان الشعر الذي تقرأه الزوجة فيجد صورته بداخله فترتد الى مخيلته مناسبة الاهداء وهي ليلة زفافها وبذلك يكون المؤلف قد مهد للنتيجة المترتبة على ذلك وهي شيء عاد متوقعا بل وضروريا بعد كل هـذه الايماءات الذكية غير انه يكمل اطار الصورة باجراء حديث بين الزوج وبين الطبيب محسن الذي جاء لمعالجة ابنه فيجده يتحدث عن امرأة تحاول التقاطه بحبائلها ويصفها بصفات تحددها فيهمس اليه الزوج باسمها مما يثير دهشة الطبيب وعجبه .

وبين حرارة الموقف ودفئه تدخل زيزي البيت وتفاجيء الـزوج مستفسرة عن سر وجوده هناك ولكنه يجابهها بثلاث صدمات اما الاولى فاخبارها بزفاف المليونير الى خطيبته فتنهار وتكاد تركع له غير انه يشفع ذلك بالصدمة الثانية وهي اعلان العودة الى حياته الزوجية الطاهرة واخيرايخبرها بان الخاتم ليسحقيقيا وانمامن الزجاجالخالص.

وهكذا قام الكاتب المسرحي القدير الاستاذ فوزي عبد القادر الميلادي باطلاعنا على هذه الصورة التي تميع بها مجتمعنا ذات يوم وما زال يعاني منها حتى اليوم .

وفضلا عن المضمون الاجتماعي الخطير الذي يترقرق داخل هذا العمل الفني العميق فاننا نلمح في المسرحية النظرة النافذة الحادة التي يرنو بها المؤلف الى الزوج الطيب والزوجة المستهترة على حد سواء فكما انها تسيء الى نفسها والى زوجها وبالتالي الى مجتمعها فكذلك الزوج يفتقد تلك الحاسة الصادقة التي يجب الا يتجرد منها اي زوج لا سيما وان مظاهر عديدة كانت تعبر امام ناظريه غير انها لا تثير اهتمامه.

واذا كان لي الحق في ان اتتبع المسارات الطولية في هذا البناء المسرحي فسوف أجد عدة شرائح كلها تنتفض حياة وتنبع صدقا. فشريحة تحدد لنا شخصية زوج يضعف امام هواه وتتمكن غيوم الخداع من عينه حينا ثم لا يلبث ان يتيقظ فيه ذكاؤه ويتصرف تصرفا سليما . واخرى تحدد لنا معالم امرأة مستهترة بالقيم وتلهث وراء المتعة ولا تحترم سوى رغباتها وثالثة ترسم ملامحبريئة الاقة لزوجة تحطم فيهاكل شيءما عدا قلبها وحبها . ورابعة تضم الاب والام اللذين يتألمان لالم بنتهما « سميحة » التي شردت من عشها الدافيء . على ان انقى شريحة واصفاها تلك التي تظهر في ملامح الطفل الصغير .

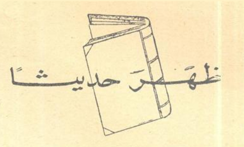
وخلال هذه الشرائح تتناثر بقع قاتمة تمثل « الخيانة الزوجية » و « التزوير » و « التغرير » حمل كل ذلك عرض جميل فيه جدة قدمها لنا المؤلف في اختيار عناوين موحية لكل فصل فسمى الاول «العاصفة» وسمى الثاني « العش الجديد » وسمى الثالث «النهاية» وهذه الظاهرة وان سبقت بثلاثية نجيب محفوظ غير انها تتسم بالجدة من حيث انها في بناء واحد متكامل يحمل اسما واحدا ويعالج قضية واحدة .

واسلوب المسرحية وان التزم فيه المؤلف الصياغة الفصحى الا انه جعل الحوار طيعا يفهمه القاريء مهما اختلف مستواه . واذا اضطر الى استعمال العامية وضعها بين قوسين وبالمناسبة فانك سوف تجد المؤلف يستخدم المثل الشعبي استخداما انيقا وعميقا .

على انى المح خيطا يشد ذلك العمل الفني ليضعه الى جوار شقيقاته لبمثل الجميع سحنة تبدو فيها ملامح فن « الميلادي » فمن قبل هذا العمل رأينا له « بنت العم » و « الزوجة الاخيرة » الخ الـى جانب القصص التي تنشر له في المجلات الادبية .. يجمع كـل ذلـك طابع اجتماعي صادق اللغة عميق المدلول مع لمسات انسانية رهيفة .

واخيرا فان القصصي الكبير الاستاذ محمود تيمور يشير في مقدمة المسرحية الى روعتها لو حملتها خشبة المسرح او تكهربت بها موجات الاثير واني لاكرر ما ردده القصصي الكبير شاكرا للمؤلف هذه المتعة مع ترقب راعش الاحداق لجديد رائع في القريب ان شاء الله .

بور سعيد — يوسف حسن نوفل



● اليونان .. شعبها وارضها ـ تاليف تيودور جياناكوليس ـ ترجمة محمد امين رستم ـ مراجعة وتقديم الدكتور عز الدين فريد ـ مصمم الفلاف حسن عبد الرحيم عنبر ـ ٢١٢ صفحة ـ مع عدة صور ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● نظرات في التعليم الجامعي ـ أشرف على تحريرها تشارلس فرانكل ـ ترجمة وتقديم الدكتور محمد توفيق رمزي ـ صدر له حسن جلال العروسي ـ مصمم الفلاف طلعت المصري ـ ٢٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المعرفة بالقاهرة ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● علم وتسلية ـ تاليف ماي وايرا فريمان ـ ترجمة عواطف عبد الجليل ـ ٦٨ صفحة ـ مصور ـ حجم كبير ـ منشورات دار المعارف بالقاهرة ـ مطابع دار المعارف بالقاهرة .

● ثريا ـ رواية ـ تاليف فاضل السباعي ـ ٢٢٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الاتحاد ببيروت ـ مطابع دار الصحافة ببيروت .

● الشرارة الاولى ـ مجموعة قصص ـ تاليف مراد السباعي ـ ١٣٤ صفحة ـ مطبوعات وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق ـ منشورات دار الثقافة في دمشق ـ مطبعة طربين (؟)

● ايام في الشرق الاقصى ـ تاليف علي حسن فدعق ـ ١٥٤ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع دار الصحافة ببيروت.

● مارد الفيضة ـ حكاية ـ تاليف نعيم بوطانوس ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة دار الارشاد ببيروت .

● امهاتنا والنضال ـ مجموعة قصص ـ تاليف ابراهيم الناصر ـ تقديم حسن بن عبد الله بن حسن آل الشيخ وزير المعارف السعودية ـ الفلاف والرسوم الداخلية بريشة عبد الرحمن الشاعر ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٤ صفحة ـ مطابع نجد التجارية في الرياض .

● لباب الاصول : رسالة موجزة في تجديد قواعد اللغة ـ تاليف منصور ابي صالح ـ ٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة خوري وخوند .

● ارض الرجال ـ رواية ـ تاليف انطوان دي سانت اكزوبيري ـ ترجمة حسيب الكيالي ـ ١٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة قلفاط ببيروت .

● القضية الفلسطينية في الدورة السابعة عشرة للامم المتحدة (خريف ١٩٦٢) ـ ١٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الهيئة العربية العليا لفلسطين في بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● شاعرية يوسف عز الدين ـ تاليف خضر عباس الصالحي ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات مكتبة المثنى ببغداد ـ مطبعة اسعد ببغداد .

● اصوات وراء الحدود : دراسات في القصيدة واضواء على الادب والادباء ـ تاليف جورج غانم ـ مصمم الفلاف رضوان الشهال ـ ٢٥٦ صفحة ـ منشورات دار الفرج ببيروت ـ مطبعة معتوق اخوان ببيروت .

● عمالقة العلم ـ تاليف فيليب كين وصمويل نيسنسون ـ ترجمة جلال مظهر ـ مراجعة محمد عاطف البرقوقي ـ ١٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار النهضة العربية (؟) ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● الطب الحديث ـ تاليف مارجوريق كلارك ـ ترجمة الدكتور محمد نظيف ـ مصمم الفلاف محمد سليمان التهامي ـ ٣٨٤ صفحة ـ منشورات دار الفكر العربي (؟) ـ مطبعة دار القومية العربية للطباعة (؟)

● الطفل البطيء التعلم ـ تاليف و. ب. فيذرستون ـ ترجمة الدكتور مصطفى فهمي ـ مراجعة وتقديم محمد السيد روحه ـ ٢٨٦ صفحة ـ منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● من الخلية الى انبوبة الاختبار : علم الكيمياء الحيوية ـ تاليف روبرت وارنر تشامبرز والماسميث بين ـ ترجمة وتقديم الدكتور حسين سعيد ـ مصمم الفلاف طلعت المصري ـ ١٩٢ صفحة ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الدنيا صور ـ تاليف ماري اوكلارك ـ ترجمة الدكتور محمد قدري لطفي؟ ـ ٤٨ صفحة ـ مصور ـ منشورات دار النهضة العربية (؟) ـ مطبعة ناتو بالقاهرة .

● الهواء من حولنا ـ تاليف مارجريت فريسكي ـ ترجمة مديحة لوكسر ـ ٤٨ صفحة ـ مصور ـ منشورات دار النهضة العربية (؟) ـ مطبعة ناتو بالقاهرة .

● صفير وسيارته ـ تاليف لويز لنسكي ـ ترجمة تفيسة جوهر ـ مراجعة الدكتور محمد قدري لطفي ـ ٥٠ صفحة ـ مصور ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة دار القومية العربية للطباعة (؟)

● مشردة ـ مجموعة شعرية ـ كلثوم مالك عرابي ـ الفلاف والرسوم بريشة اسماعيل شموط ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات المكتب التجاري ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● صاعد البغدادي واثره في الحياة الادبية الاندلسية (٤١٧ هـ ـ ١٠٢٦ م) ـ تاليف الدكتور محسن جمال الدين المدرس في كلية الاداب بجامعة بغداد ـ ٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة العاني ببغداد .

في كلمات...

● تقول مؤسسة القلب الكندية ان متوسطي الاعمار من مدخني السجاير يتعرضون لاضطرابات قلبية تبلغ ثلاثة اضعاف اضطرابات غير المدخنين .و اضافت المؤسسة تقول في بيان نشر في مجلة الجمعية الطبية الكندية ان الدراسة التي أجريت على اناس تتراوح اعمارهم بين الاربعين والتاسعة والاربعين اظهرت ان تدخين السجاير يلعب دورا كبيرا في التسبب في بعض امراض الشرايين .

● خلال معالجة الاورام الخبيثة يتعرض القسم المريض من النسيج لتأثير الاشعاعات الدائفة . ولكن ليست جميع الاورام ذات حساسية كافية بالاشعاع . وفي الوقت ذاته يمكن للاشعاعات الدائفة المشددة ان تصيب الخلايا السليمة المجاورة . ولهذا فانها لمغرية جدا المسالة الكامنة في ان ترفع كيميائيا حساسية الخلايا السرطانية بمفعول الاشعاعات. ان علماء عديدين يعكفون على هذه المسالة . بيد ان المحاولات العديدة لدمج المفعول الكيميائي بمعالجة الاورام الخبيثة على الاشعة تكشفت انها قليلة الفعالية . فحساسية المنطقة المريضة والنسيج السليم المجاور تزداد سواء بسواء . وانصرف علماء معهد الفيزياء - الكيمياء لدى اكاديمية العلوم السوفياتية الى طائفة من الابحاث حول هذه المسالة مع فريق العالم يوسف كاسيرسكي . لقد جربوا مركبات من فئة مخملات التفاعلات المتجانسة . (المخملات هي مواد تكبت او على العكس تنشط طرازا واحدا من العمليات الكيميائية). هذه المركبات اقترحها نيقولاي عمانوئيل ، لاول مرة ، كمستحضرات مضادة للسرطان . واستخدم المركب غير السام المسمى بروبيلفالات لزيادة الحساسية . واجريت التجارب على فئران . وتسمح النتائج باستخلاص ان المركبات الكيميائية المنشودة عثر عليها . ان مخملات العمليات المتجانسة يمكن ان تصلح موادا تزيد حساسية الخلايا السرطانية ازاء الاشعاعات الدائفة .

ويعمل الصوم على تهدئة النفس والاعصاب والجسم في آن واحد . وهناك من الناس الذين اكتشفوا فوائد الصوم وكثرت اعمالهم ومشاقهم اليومية ، يقومون في كل سنة او سنتين بـ « الصوم » تحت اشراف الطبيب لكي يحتفظوا بقوام اجسامهم وصحتهم . وقد اصبح ذلك امر ضروري تتطلبه حياتنا العصرية ، بسبب كثرة تناولنا الطعام ، وقلة حركتنا في نفس الوقت .

● اعلن أحد العلماء الالمان انه نجح في تخفيض ضغط الدم العالي لمدة طويلة عند بعض المرضى بحقنهم في الوريد مرتين في اليوم بمحلول من مخدر يعرف باسم «بروكايين» يؤثر تأثيرا مباشرا في اعصاب جدر الاوعية الدموية .

● صنعت مختبرات معامل بريطانيا جهازا صغيرا ودقيقا للسمع بغية مساعدة الصم . وهو جهاز لا يزن سوى ٥ غرامات ونصف الغرام ويظل مختبئا بصورة كلية وراء الاذن . كما يمكن ان يصنع بشكل نظارات . وفيه مكبر للصوت وثلاث قطع ترانزيستور وبطارية وغير ذلك من القطع الضرورية للسمع .

● يحاول الاطباء والتكنيكيون الكهربائيون ، تصميم جهاز منبه ، لقياس ضغط الدم ، ويستطيع المرضى الذين يشكون اضطرابات في الدورة الدموية ، حمل هذا الجهاز المنبه في معصمهم ، كالساعة اليدوية ، ويعطي الجهاز اشارات خاصة عندما يهبط او يرتفع ضغط الدم ، الذي قد يقود الىسكتة قلبية، تؤدي بحياة المريض .

● غادرت تيريزا مازاري البالغة من العمر ١١ شهرا المستشفى بعد ان ركبت لها اصغر صمامات زود بها قلب انسان حتى الان واول صمامات تركب حتى الان في قلب طفل . ويبلغ قطر فتحة الصمام اقل من نصف بوصة . وقد ركبت لها الصمامات لانها ولدت بصمام ضيق جدا لا يتسع لمرور كمية كافية من الدم الى الدماغ مما ادى الى فقدانها الوعي مرات عديدة . وقالت والدتها وهي المسز ماري مازاري من يونكرز احدى ضواحي نيويورك انها وهي في غرفة هادئة تستطيع سماع « ضربات خفيفة » داخل تيريزا وهي صوت الصمام عندما ينفتح وينغلق . وجرت العملية التي استغرقت ثلاث ساعات في مستشفى مونتفيوري في نيويورك .

● يحاول الدكتور دانييل ماريه في جنوب افريقيا الاخصائي في شؤون التناسل ، خلق سلالة جديدة من الكلاب الممتازة يصل حجم الواحد منها الى حجم الاسد ، وهو يتوقع ان ينتهي من تجربته بعد عشر سنوات .

● انتخبت احدى الشركات البريطانية جهاز « رادار » لارشاد العميان ، وهو عبارة عن انبوب طوله ٢٣ سنتمترا ويشبه مصباح اليد العادي الذي يعمل بالبطارية الجافة . ويتصل الجهاز بالاذن بعقدة صغيرة . وقد قام صحفي مبصر بتجربة هذا الجهاز ، فاغلق عينيه واستعمل الجهاز في غرفة مزدحمة بالمفروشات فلم يتعثر بقطعة منها . فكانت اشارة هادئة تصدر من الجهاز ترشده الى الطريق السالكة

والى وجود العقبات في طريقه ليتجنب الاصطدام بها . ويجري الان انتاج اول دفعة من ٥٠ جهازا من هذا النوع لمدرسة سانت دنستان وهي لتدريب العميان من الجنود الذين فقدوا بصرهم في اثناء الحرب . وتدير هذه المدرسة منظمة طوعية في بريطانيا .

● كتب أحد الاطباء يقول ان المصابين بحمى الربيع تخف علتهم درجات متفاوتة بأكل عسل النحل وشمعه الذي تنتجه المناحل الموجودة في المناطق المجاورة لسكنهم .

● تقترب معركة مكافحة السرطان ، يوما بعد يوم من نهايتها الناجحة السعيدة . هذا هو المعنى المشبع بالامل والتفاؤل الذي تبدى من خلال التقرير السنوي الاربعين الذي اصدرته في لندن ، منظمة الابحاث الامبراطورية البريطانية بشأن السرطان . وجاء في هذا التقرير الذي وقعه دوق فلوستر رئيس المنظمة « اذا عملنا بصورة فردية ، فاننا قد لا نقترب من تحقيق هدفنا بالسرعة التي يتم بها ذلك ، حين نعمل بصورة جماعية . » ومما ورد في التقرير ايضا انه من الممكن ان تكون لرواسب التبغ التي تتخلف من تدخين السجاير ، اثار سرطانية حين تكون بكميات ضئيلة جدا .

● استطاعت معامل بريطانية وضع تصميم تكني لزجاجة من البلاستيك معدة للمسافرين الذين يحتاجون الى الماء في اسفارهم . وقد يضطرون احيانا الى شرب مياه آسنة موبوءة ومشحونة بشتى انواع الميكروبات التي تسبب امراضا وخيمة عديدة . واما الزجاجة هذه فتعي مصفاة ذات مسام تسحب الماء النقي فقط الى جوفها وتترك الجراثيم والاوساخ والاقذار خارجا وتقضي على جراثيم التيفوئيد والكوليرا والديزنطاريا والالتهابات المعوية . ولقد تم اختبارها وجرت تجربتها بنجاح في شتى اقطار العالم . فهي تجعل المياه نقية وصالحة للشرب مهما كان مصدرها دون ان تبدل في شيء من طعم الماء .

● موجات الصوت التي لا تسمعها الاذن تعالج الامراض العقلية وفقا للبحوث والدراسات التي اجراها الدكتور بيترلاند ستروم الزوج السابق للنجمة السينمائية انجريد برجمان . وقال انها تغني عن الجراحة الخطرة التي يتم فيها استئصال الفص الامامي من المخ . وقد بدأ تجاربه بهذه الموجات من ٩ سنوات لتخفيف الام مرضى السرطان ولازالة حالات القلق والمزاج السوداوي عندهم . جزبها في السنتين الماضيتين على ٢٠٠ مريض بالشيزدفرنيا او انقسام الشخصية وغيرهم ، فشفى منهم ١٦٠ مريضا وعادوا الى مزاولة اعمالهم . ووصف علاجه في اجتماع جمعية امراض العقل فقال انه كان يحدث في الجمجمة ثلاثة ثقوب ومنها يوجه موجات الصوت الى الفص الامامي للمخ ثم يعيد سد الثقوب كما كانت وبها حصل على نتائج افضل من جراحات استئصال هذا الفص واخطارها المتعددة .

● يقترح الدكتور ب.ت. هورتون على من تكثر عليهم نوبات البرد ان يغمسوا احدى اليدين مرتين في ماء مثلج دقيقة او دقيقتين في اليوم مدة ثلاثة اسابيع او اربعة فمن رأيه ان ذلك يزيد من مقاومتهم للبرد .

● ٤٠ الف طفل ماتوا في المانيا غ. عام ١٩٦٢ قبل ان يتموا عامهم الاول . سجلت المانيا اعلى نسبة في الوفيات بين الاطفال في اوربا وهي ٣٣ ٪ .

● لطرد الذباب وجعله يبتعد عن الحيوانات ابتكر الدانيمركيون مادة اطلقوا عليها اسم « توجون » وهي تحوى مركبات فوسفورية تقتل الحشرات وتذاب هذه المادة في الماء قبل استخدامها بنحو ٢٤ ساعة ، ثم تدهن بها قطع النسيج التي تتخذ كغطاء لحيوان المزرعة وغيرها من الاسطح بالمزرعة ، فلا يكاد الذباب والهوام يقربها حتى تموت ، ولا تمضي فترة حتى يهاجر من منطقتها . وجربت المادة بنجاح في عدد كبير من المزارع الدنيمركية .

● توصل العلماء البريطانيون الى حل مشكلة تمدد عناصر الوقود في المحطات الذرية لتوليد الكهرباء ، وبذلك اصبح في الامكان استخدام عناصر الوقود هذه لمدة اطول من السابق بنسبة ٥٠ في المائة الامر الذي يؤدي بدوره الى تخفيض نفقات الانتاج . ومن المعروف ان التمدد المذكور ينشأ من الفقاقيع التي تشكلها منتجات الانشطار الغازي عندما يحترق الوقود داخل المفاعلات الذرية . وقد اثبتت الابحاث العلمية التي اجريت في مؤسسة الطاقة الذرية في هارويل انه ما دامت الفقاقيع صغيرة ومبعثرة متباعدة فان التمدد لا يعتبر خطيرا ، اذ لا يحدث في هذه الحالة الا القليل من الاضرار التي تلحق بصناديق المغنزيوم المحيطة بقضيب الوقود . ومشكلة الفقاقيع انها قد تتجمع معا فتجعل المعدن ينتفخ ويتمدد بنسبة ٥٠ ٪ من حجمه الاصلي ، قبل ان يبدأ بالاشعاع الامر الذي يؤدي بدوره الى انغلاق المفاعل الذري وتوقفه عن العمل .

● قدمت مصلحة بحوث التربة في مدينة هانوفر بالمانيا الاتحادية اقتراحا جديدا للتخلص من الفضلات الذرية . وقد ابدى الجيولوجيون فيها بأن افضل مكان لوضع الفضلات الذرية فيه والتخلص من خطرها هي طبقات الصخور الملحية الموجودة في قلب الارض . ويستند الجيولوجيون في ذلك على نتائج بحوثهم التي بينت بان الطبقات الملحية استطاعت ان تصمد للتأثيرات الفيزيائية والكيميائية المتولدة في الطبيعة منذ مدة تزيد عن مليوني عام . فوجد مثلا بان الطبقات الملحية الموجودة تحت اراضي مدينة زالتسجيتر بالمانيا الاتحادية لم تتقلص اكثر من ١٢٠ مترا خلال مليوني عام . فاذا ما وضعت المواد ذات الاشعة النشيطة في قلب الصخور الملحية على هذه الصورة فان المؤثرات الهيدرولوجية او البيولوجية التي تتناول النباتات والحيوانات ودورة الارض المائية مثلا ، سوف لا تستطيع ان تنال منها شيئا . ويوجد في سهول المانيا الشمالية نحو ٢٠٠ بقعة تكمن تحتها طبقات من الصخور الملحية التي يمكن استخدامها في هذا الغرض .

● تبدو آلة « موزيكرايتر » التي فازت بالمدالية الذهبية في معرض المخترعين الدولي الذي اقيم اخيرا في بروكسل ، شبيهة جدا بالآلة الكاتبة العادية ، الا ان دساتينها تحمل رموز النوطة الموسيقية واشاراتها عوضا عن الحروف .

وقد اشتغلت مصممة هذه الآلة ، وهي المس ليلي بافي من لندن والبالغة من العمر ٤٦ سنة ، على تنفيذ فكرتها هذه ١٣ عاما ، وتأمل الان ان تعرض آلتها للبيع في الاسواق في العام المقبل ويمكن طباعة النوطة الموسيقية على هذه الآلة حسب طريقة اللمس المعروفة . اما الملحنون الموسيقيون الذين يرغبون في استعمال هذه الآلة للتاليف فبوسعهم ان يفيدوا من اسطوانة ملحقة بها تردد الانغام بصوت مسموع في اثناء الطباعة ، وفي هذه الاسطوانة دؤفتة موسيقية « اي مترونوم » .

● حاسبة الكترونية سريعة بحجم كتيب . هل هذا ممكن ؟ ان العلماء يجرون المحاولات الاولى في هذا الميدان ويؤكدون ان جميع الناس تقريبا سوف يتمكنون من ال «اشتراك» في هذا الكتيب في مستقبل قريب . العالم اللغوي سوف يحل رموز الكتابات القديمة بواسطة هذه الماكنة . وسوف يحسب الفلكي مدار نجمة في ما وراء المجرة لا ترى بالعين المجردة . كما سوف تتيح الماكنة للمصطفي ان يضع حصيلة اعمال عدة سنوات في ميدان اصطفاء انواع جديدة من القمح وتقول ما ينبغي فعله للحصول على الكمية الضرورية من البروتينات ومواد مغذية اخرى من النوع النهائي . وحاسبة الجيب سوف تساعد البيوكيميائي في معرفة آلية الايض في الجسم وهو مجموعة معقدة من التفاعلات الكيميائية . ليس مطلقا من قبيل الصدفة ان شبهنا ماكنة العد الالكترونية بكتيب . فهي سوف تتألف من اوراق دقيقة جدا تركب عليها اجهزة من اشباه الموصلات ومن رقائق دقيقة جدا . وتبلغ سماكة هذه الرقائق اجزاء من الميكرون . ورغم ذلك سوف يكون العمل شديد الفعالية .

جولة الأديب في شهر

اخوانيات .. في العروة الوثقى بلندن

كثرت مجالس الانس والمطارحات الادبية في القرن الرابع الهجري فسمي بـ « صفوة العصور » ، ويلذ لي ان اتصور اولئك الادباء في مجالسهم الخصوصية واماكن تبسطهم ، كل منهم مالك ناصية اللغة ، خصب الخيال واسع العلوم ذرب اللسان ، وقد وجدوا في الادب العربي ، في معرفته وفي انتاجه وفي التحدث عنه ، لذة ومتعة عظيمتين . وها نحن اليوم احفاد اولئك بعد مئات عديدة من السنين وفي بلاد نائية عن الوطن العربي نعقد مجالس على غرار تلك المجالس ونجد فيها ايضا لذة ومتعة عظيمتين ، ولعل في هذه المشاركة اجمل رباط روحي بيننا وبينهم .

في ضباب لندن وجوها البارد كثيرا ما ينعقد سامرنا في جلسة ادبية نعيش فيها مع شعراء العربية وادبائها قديما وحديثا فنحس وكأن حدود الزمان قد انحسرت فالماضي يتداخل مع الحاضر بسهولة ويسر ونحس ان حاجز المكان قد رفع وكأن الشعراء والادباء في كل مكان من الوطن العربي وغيره يشاركوننا جلستنا وحديثنا وسمرنا . وبيت الاستاذ حسن الكرمي مكتبة عامرة بأمهات الكتب لهذا كثيرا ما نجتمع في بيته لاننا ونحن في بيته اذا ما غابت عنا نقطة ادبية او اختلفنا في امر لغوي او في بيت من الشعر قام « ابو زياد » فاخرج مرجعا من مراجعه يكون فيه دائما فصل الخطاب .

ومن اجمل ما نتج عن هذه الاجتماعات انتاج ادبي لم يكن مقصودا بذاته وهي ابيات من الشعر لعلها تعبر اصدق التعبير عن الروح التي تسود مجالسنا . اليكم بعضا منها والمناسبات التي قيلت فيها . ذهبنا في احدى الامسيات نزور الشاعر سعيد العيسى في بيته وكان ذلك اليوم عيد ميلاده فقدمت له هدية ديوانا من الشعر كتبت على الصفحة الاولى هذه الابيات :

انا لا اعرف كم جاوزت في العمر السنينا
انما اعرف ان قد كنت لي خدنا امينا
وكذاك الدهر يبني بيننا ودا مكينا

فرد علي بنفس الروي والقافية :

دعك من تخمين عمري يا اخا ودي الامينا
انت ان تنظر الى وجهي تجد فيه غضونا
اسطرا قد زين الدهر بها مني الجبينا
دعك لا تقرأ بها الماضي ولا تحص السنينا
والى قلبي تعال انظر تجد حبا دفينا
فانا في السن ما جاوزت حد الاربعينا
غير اني جزت في حبك اعواما مئينا

ومرة كان سعيد « ابو جريس » مريضا فذهبنا لعقد جلستنا الادبية حول سريره ، واخذت له ديوانا اخر من الشعر ليقرأه وهو في فراشه وكتبت عليه هذين البيتين :

وهل أهديك شعرا يا سعيد   وانت اليوم للشعر العميد
ولكن هذه خلجات ود   ومن جدواك ان جدنا نجود

وسر سعيد بالديوان وبالبيتين سرورا شديدا ، فاخذ ورقة وقلما وكتب على نفس الروي والقافية :

قواف تلك أم در نضيد
وسجعة بلبل ذي أم قصيد
وهذا الشعر أين السحر منه
اذا التبست على المرء الحدود
قلائد طوقت عنقي واني
وان ثقلت علي ، بها « سعيد »
عهدتك يا فؤاد طبيب جسم
بكفك يكمن البرء الاكيد

ومبضعك الحياة بشفرتيه   يسير على الصراط فلا يحيد
اذا غمزته كفك في حنان   فاقصى سيره الخطو الوئيد
تعود به الحياة لذي موات   وعهدي ان مضت ليست تعود
وما انت المريد له حياة   ولكن الاله هو المريد
خشيت الله فيما ترتجيه   فزادك نعمة فيمن يزيد
سبيلك في الحياة سبيل صدق   ورأيك في الامور هو السديد
جمعت رئاستين على صعيد   وفضلك ليس يجمعه صعيد
جمعت الى التقى ادبا وعلما   وها انذا ابايع يا عميد ...

وفي أحد الاسابيع شغلني شاغل عن حضور احدى الجلسات الادبية فحمل الي البريد في صباح اليوم التالي رسالة فيها هذه الابيات من سعيد :

يا سامح الله خلا زان نادينا   بالانس ثم نأى عنا وخلانا
فاين انت اخا الود الصحيح ، الا   والله نأيك عنا امس اشجانا
شغلت عنا بظبي كنت سلوته   وانت ذكرك، طول اليوم، سلوانا

وارسلت اليه أعارضه في ابياته

يا عاتبا وله في القلب منزلة   باتت لنا في سواد العين انسانا
عاتبتني لفراق عنك اكرهه   وهل اطيق عن الاخوان سلوانا
لو كنت تنصف لم تعتب على دنف   قد ذاق بالامس مر العيش الوانا
نأي الاحبة مر في مذاقته   فاصفح عن الخل واغفر منه ما كانا

وانا لا انظم الشعر ولا قدرة لي عليه ولكن يشجعني سعيد ويقيل عثراتي الكثيرة فيه . ولهذا اقول البيت او البيتين لا لشيء الا لحث سعيد وحفزه على النظم . وفي احد الامسيات جلسنا في مطعم وجلست امامنا فتاتان احداهما شقراء والاخرى سمراء . فقلت له « هذه معارضة جاهزة » لو قلت في الشقراء بيتين هل تعارضني بالسمراء . فأجاب موافقا ومتحمسا فقلت :

شقراء يا لمع النجوم   يا ومضة عبر الغيوم
يا بهجة العيش الرضي   يا عطفة القلب الرؤوم

فاخرج سعيد ورقة وقلما وكتب :

سمراء يا شم النسيم   يا شقوتي بل يا نعيمي
يا حلمي الغافي على   أطلال حب لي قديم
سمراء يا املي اذا   ما همت في الليل البهيم

قد بح صوتي اذ هتفت اليك ادعو من صميمي
لولا عيونك ما صبرت على الاذى صبر الكريم
لا والذي في الثغر القى محكم الدر اليتيم
أشكو اليك، ومنك شكوى قلبي العاني السقيم
حامت على شفتيك امالي وتاهت في جحيم

وعندما زرت لبنان اخر مرة طلب مني سعيد ان احصل له على ديوان الاعاصير للقروي فاتيت بالديوان وكتبت له عليه :

هذي الاعاصير اهديها لذي ادب   حلو الشمائل ملء السمع والبصر
ان قال شعرا فذي الاوزان طائعة   او رام نثرا فكالياقوت والدرر

فرد علي قائلا :

يا «للاعاصير» قد باتت تسامرني   وهل سمعت باعصار اخي سمر
فيها من الفكر اثمار مطيبة   يا حبذا نفحات الفكر من ثمر
أهديتنيها بلا من يكدرها   وأحسن الجود ما ياتي بلا كدر

وقال يشكرني لهدية «صفط البقلاوة والبرمة» التي يحبها :

افؤاد من لي بالنجوم اصوغها عقدا لجيدك يا فتى العلياء
هذي اياديك الكريمة طوقت عنقي، وجلت عن عظيم ثنائي
منن على منن ، حنانك واتئد أخجلت «معنا» في الندى «والطائي»
زدني ازدك اخا المروءة والوفا وكما عهدت مروءتي ووفائي

واذكر يوما جئت احدى الجلسات متاخرا فلما جلست ، وكان سعيد جالسا في مكان بعيد عني ، احسست بحركة ورائي فنظرت واذا برقعة تتناقلها الايدي الى ان وصلتني واذا على الرقعة هذان البيتان من سعيد:

هـذا فؤاد اطلا كالبدر حين اهلا
يا مرحبا بفؤاد يا ليته جاء قبلا

هذا بعض ما فاض عنه الخاطر في اخوانيات العروة الوثقى بلندن ، وقد اطلقنا عليها هذا الاسم تيمنا باسم اول جمعية ادبية عربية تأسست في اوروبا وهي التي شكلها في باريس جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده . وقال فيها الجواهري :

وكانت عروة وثقى تزجى لمنقسمين حبا واتحادا
وناس لا الحضارة دنستهم ولا طالوا مع الطمع امتدادا

ان الادب العربي اشبه بالنبتة القوية الجذور تستطيع ان تضرب جذورها في كل ارض مهما نات واختلفت عن تربتها الاولى وسرعان ما تبسق وتكون متعة للناظرين . ولا عجب ان تكون النبتة قوية الجذور وهي التي اينعت اجمل ايناع وابهاه في بلاد الصحارى والرمال .

لندن **فؤاد جبور حداد**

من العروة الوثقى

•

مصير اللغة العربية في المهجر

سؤال : من هم المسؤولون عن ضياع اللغة العربية في العالم الجديد ؟

جواب : الاباء والامهات بنوع خاص ، والرؤساء الروحيون بنوع عام .

في اثناء زياراتي المتواصلة لابناء رعيتي في توليدو ولويزفيل سابقا وبكلي حاليا ، كثيرا ما يدور الحديث بيني وبين المتقدمين منهم بالسن ، بالطبع ، باللغة العربية التي ربينا ونشانا عليها ورضعناها مع حليب امهاتنا ، فاصبحت لنا كيفما سرنا واينما توجهنا بمثابة المرشد الامين الذي نحافظ عليه كمحافظتنا على أثمن ما لدينا .

ومما يلفت نظري ، بنوع خاص ، اثناء الحديث ، ما الاحظه من اولادهم المولودين في هذه البلاد ، من رغبة واهتمام لمعرفة فحوى الحديث ، بحيث لا يتوقفون عن توجيه اسئلة الاستفهام الينا لنترجم لهم الحديث بالانكليزية ، الامر الذي يجعلني آتساءل قائلا : أليس من العار ان يكون هؤلاء الشبان والشابات غير عارفين لغة ابائهم التي طالما لعبت وتلعب دورا كبيرا في عالم الحضارة والمدنية ؟

في الواقع ، لو قابلت بين ابناء مغتربينا في اميركا او بالاحرى الاكثرية منهم ، وبين ابنائنا في الوطن الاول ، لبنان ، لرأيت الفرق شاسعا جدا . ففي لبنان قلما ترى شابا او شابة لا يتكلم او تتكلم اكثر من لغة واحدة اجنبية . اما هنا لسوء الحظ ، فان اكثرية النشء الحديث لا يهتم الا بتعلم الانكليزية فقط وقلما ترى بينهم من يتقنها اتقانا تاما من جميع النواحي . والدليل على ذلك ما تبين لي مؤخرا عندما سألت بعضهم اذا كان أحد منهم مولعا بالشعر ، او اذا كان هنالك شعراء في « بكلي » او في ضواحيها ، لانه كان في نيتي ان اتصل بهم واطلب اليهم ان ينظموا لي نشيدا بالانكليزية بمناسبة العيد المئوي لولاية وست فرجينيا الذي تحتفل به في هذه السنة ، لكي الحنه وانشده في بعض الحفلات التي ستقام ، بهذه المناسبة خلال العام الجاري ، فكان جوابهم جميعا انهم لا يعرفون ان في هذه المنطقة شعراء. غير انني لم ايأس لهذه النتيجة وكان ان صممت ان اجرب فانظم النشيد بنفسي ، كما هي حالي بالنسبة للغة العربية . فما كدت اطلع على اصول كيفية نظم الشعر بالانكليزية حتى اكببت على نظم النشيد المطلوب . وما هو الا وقت قصير حتى كان النشيد جاهزا ، فقلت في نفسي لا بد من ان اقرأه اولا على بعض المتضلعين من اللغة الانكليزية ليعطوا رأيهم فيه قبل ان اقدم على استعماله رسميا . وبالفعل فقد كانت النتيجة ان النشيد صادف اعجابا عاما اكثر مما كنت اتوقع . وقد تلقيت من أحد اساتذة « معهد تدريس اللغة الانكليزية بالمراسلة » من شيكاغو ويدعى الاستاذ وولتر كاستر ، رسالة جاء فيها :

« ان نشيدكم قد كتب بطريقة جيدة جدا ويمكنكم الاعجاب به . فانا احييكم واهنئكم بهذا العمل الممتاز وآمل ان تواصلوا نظم الكثير من الاناشيد التي ستكون مساعدة وموحية لغيركم .. »

ليعذرني القراء الكرام . ليست غايتي مما ذكرت الاعتداد بالنفس بل لابين انه عندما يقصد المرء ان يعمل شيئا ما ، بحزم وعزم ، فلا بد ان يتم هذا العمل وينال النجاح المبتغى .

لماذا لا يقصد شبابنا فيهتمون بدرس لغة ابائهم التي قد تكون في المستقبل أحد العوامل الفعالة في بناء صرح نجاحهم ؟ هنالك كتب كثيرة يستطيعون بواسطتها تعلم اللغة العربية بانفسهم في اوقات فراغهم، كما انه بالامكان ايضا فتح مدارس عربية خاصة في جميع المدن الاميركية في حال وجود العدد الكافي من الراغبين في تعلمها مع العلم ان بالاستطاعة ايجاد الاساتذة الاكفاء لتعليمها .

وهنالك الصحافة العربية فانها تستطيع ان تساعد كثيرا في مضمار اتقان اللغة ، على شرط ان توجد اولا العزيمة القوية الثابتة في نفوس اولادنا لتعلم مبادئها ثم بعد ذلك سيكون بامكانهم التدرج في اتقانها بمطالعتهم الصحف العربية وتشجيعهم اياها لكي تبقى في المستقبل مواصلة جهادها المثمر في سبيل الوطنين العربي والاميركي .

سؤال : من هم المسؤولون عن هذا الاهمال الفاضح في امر المحافظة على اللغة العربية في هذه البلاد ؟

الجواب سهل جدا معرفته . اولا : انهم الاباء والامهات الذين ، لسوء الحظ ، لا يبدون أي اهتمام بشأن تعليم اولادهم لغتهم الاصلية ، منذ نعومة اظفارهم . فكثيرا ما تراهم يتحدثون واولادهم داخل بيوتهم وخارجها باللغة الانكليزية التي لاولادهم الامكانيات الواسعة في اتقانها في المدارس وفي معاشرة رفاقهم الاميركيين . وعليه فنلاحظ ان الاهل هم المسؤولون الاولون في العمل على زوال اللغة العربية تدريجيا من العالم الجديد .

الامر الثاني الذي كثيرا ما نراه يساعد على ضياع اللغة العربية في هذه البلاد الكريمة ، وهو ، لسوء الحظ ، عدم اهتمام الرؤساء الروحيين بتشجيع ابنائنا وحثهم على درس هذه اللغة بطريقة منظمة ، ينبغي تأسيس مدارس عربية في جميع الجوالي وفي بيوت العبادة التي لا تزال تابعة روحيا وعقائديا لامهاتها الكنائس في العالم القديم . وهذا لا يمكن ان يتم الا بطلب وتشجيع من الرئاسة الروحية العليا التي ، كما يظهر من مجرى الحوادث ، لا تعير هذا الامر اي اهتمام .

وبهذه المناسبة لا بد لي ان اذكر ان الحكومة الاميركية شرعت تهتم بتعليم اللغات الاجنبية المشهورة في معاهدها العالية ومن جملتها اللغة العربية.

وختاما لموضوعي هذا اريد ان اوجه الانظار الى ما يلي :

لو استقصينا مختلف الجنسيات في اميركا من يونانية وروسية وايطالية واسبانية و .. الخ لرأيناهم جميعا يهتمون بتدريس اولادهم لغتهم الاصلية والتحدث بها دائما سواء أكان ذلك اثناء اجتماعاتهم العائلية أم الكنائسية أم الاجتماعية .. فلماذا لا نفعل نحن مثلهم فنغار على لغتنا ؟

ولماذا لا نوجه الاهتمام اللازم بتدريس لغتنا العربية لابنائنا ؟

ورحم الله من قال : « كل لسان بانسان ! »

(البيان) ـ امريكا **الارشمندريت باسيل قازان**